

مكتبة الشعراوي الإسلامية

إيمان اليوم

مطبخ الثقافة

الحياة والموت

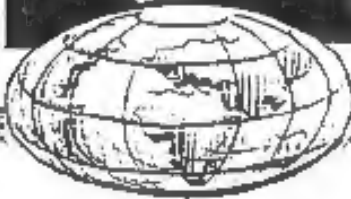
تأليف الشيخ

محمد متولي الشعراوي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سعد

الفصل الأول



ما هي البداية ؟

ما من قضية أخذت جدلا بين الناس
مثل قضية الموت والحياة . وما من قضية
تدخل فيها العلماء بعلم كاذب مثل قضية
الموت والحياة ! ذلك أن الموت غيب عنا ،
وكل غيب نحن نأخذ أخباره وخصائصه عن
الله سبحانه وتعالى ، لأنه مادام غير مشهود
فهو لا يدخل في علم الإنسان يقينا . وإن كان يدخل ظنا أو
توهما . . مما يعرضه لكمية هائلة من الأكاذيب غير
الصحيحة .

وهذا ما أوقع العلماء منذ - بداية الخلق - في التخطئ
والخيرة ، بل والتناقض . فمنهم من قال بنظرية التطور . وأن
الإنسان أصله قرد اسمه لوسى (١) .

ونقول لهؤلاء المفترين : من الذى أخبركم بذلك ؟! نحن لم
نعرف في سجلات التاريخ التى روت لنا الأحداث في العالم منذ
قديم الزمان ، ان هناك قردا قد تحول إلى إنسان ! وهل تحول
هذا القرد إلى إنسان ثم بعد ذلك توقف عن هذا التحول . أم
ماذا حدث ؟ ثم هل تحول هذا القرد إلى إنسان ذكر أم إنسان
أنثى ؟! فإن كان قد تحول إلى ذكر فإنه يفترض ، وإن كان قد
تحول إلى أنثى فإنها تفترض أيضا . . وأين هو الدليل الذى
استندوا إليه في هذا الحكم ؟!

لقد تقدمت العلوم وارتقت البحوث في جميع المجالات فيما
لا يقاس بإمكانات الزمن الماضى . . وأصبحت التكنولوجيا

سمة العصر الحديث .. ومع ذلك فإننا مازلنا نتحدثكم
بالدليل الذي يثبت زعمكم .. أرونا كيف يتحول القرد إلى
إنسان ؟!

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه الخرافات في
كتابه العزيز وحذرنا منها . فقال سبحانه :

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ
وَمَا كُنْتُمْ بِمُحْذَرِّ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾ (٥١)

(سورة الكهف)

إن الله سبحانه أخبرنا أنه سيأتى مضلون . وأنهم سيتحدثون
عن خلق السموات والأرض وخلق الناس وكيف تم ؟ وهؤلاء
المضلون كلامهم كله مقصود به إضلال الناس . فهم لم
يشهدوا خلق السموات والأرض . ولم يشهدوا خلق أنفسهم
حتى يتحدثوا عن علم .

إن مجيء هؤلاء المضلين الذين يقولون إن الإنسان أصله
قرد . والذين يتحدثون عن نظريات علمية لخلق الإنسان .
مجىء هؤلاء جاء تثبيتاً لقضية الإيمان في الكون . لأنهم لو لم
يأتوا ويضلوا ، لقلنا إن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في القرآن
الكريم أنه سيأتى من يضل ، ويقول لنا إن السماء والأرض
خلقنا بطريقة ما ، وأن الإنسان خلق بشكل ما ، ولم يأتوا .
إذن فمجيئهم ضرورة لتثبيت الإيمان .



جدل عقيم .. وسفسطة

لقد حارت البشرية كذلك في قضية فلسفية تافهة لا يملكون لها دليلاً . وهي أيهما وجد أولاً .. البيضة أم الفرخة ؟! لقد ثار جدل عقيم لا طائل من ورائه حول هذا الموضوع . وظهرت مدارس تعقبها مدارس .. ونقول لكل هؤلاء : لماذا هذه السفسطة ؟ إن الله سبحانه وتعالى قد أراحنا ودلنا على بداية الخلق فقال سبحانه :

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٩)

(سورة الذاريات)

معنى ذلك - ونحن نأخذ العلم عن الله تعالى - أنه لا يمكن أن يستمر خلق إلا من ذكر وأنثى . وأن هذا الجدل العقيم وهذا اللغو العلمي (إن صح هذا التعبير) لا يؤدي إلى شيء . لأن الله سبحانه أخبرنا أنه خلق من كل شيء زوجين . وأنه إذا لم يوجد الدبك الذي ينصب البيضة داخل « رحم » الدجاجة .. لظلت البيضة صماء لا تعطينا شيئاً ..

لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تكون مراحل الخلق أربعاً .. كل مرحلة منها تعتبر إظهاراً لإعجاز الله وقدرته التي لا تعرف حدوداً .. ولا تحدّها قيود . لقد كان آدم عليه السلام هو أول خلق الإنسان .. يدل على ذلك قول الحق جل

وعلا في قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ ٧٢ ﴾

(سورة ص)

هذه هي بداية الخلق كما أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى .
ومع النفخة في آدم - التي هي من روح الله - وجد في ظهر آدم
عليه السلام كل ذريته حتى يوم القيامة على هيئة مخلوقات غاية
في الدقة مكتوبا عليها بشفرة إلهية كل الصفات التي ستكون في
الإنسان . . . هذا الخلق هو الذي أخبرنا به المولى عز وجل في
القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى أَشْهَدُ نَأْنُ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَلْفِئَةٌ
أَوْ كُنَّا نَاعْنُ هَذَا غَفْلِينَ ۝ ١٢٣ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ
قَبْلُ وَكَاذِبَةٌ مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَئِنَّكُمَا بِمَافَعَلِ الْبَاطِلُونَ ۝ ١٢٤ ﴾

(سورة الاعراف)

بعض الناس يتساءل : ما علاقتي أنا بآدم بعد هذه القرون
الطويلة ؟ ونقول لمن يتساءل : إن فيك قبسا من نفخة الله في
آدم . هو الذي أعطاك الحياة . يقول كيف ؟ نقول إن الحياة
سلسلة متصلة . . إذا انقطعت انتهت . لقد أتيت نتيجة
حيوان حي من والدك ، ولولا وجود هذا الأب ، ما كنت قد

والدك . ووالدك حتى عن حياة سبقت هي حياة جدك .
وجدت أنت . إذن فأنت حتى عن حياة سبقت هي حياة
وجدك أيضا حتى عن حياة سابقة وهكذا . . لتصل سلسلة
الحياة حتى تصل إلى آدم . فأدم لو لم يكن حيا ، لما وجد
أولاده ، فأولاده أخذوا الحياة من ميكروب حتى في ظهر آدم ،
ومن حياة آدم أخذ أولاده الحياة وأعطوها لأولادهم .

وهكذا مضت الحياة كما شاء لها الله حتى وصلت إلينا وإلى
أولادنا وأحفادنا حتى قيام الساعة .



فى عالم الذر .. كانت المشاهدة

لقد أشهد الله جميع خلقه على نفسه منذ البداية ولم يتخلف عن تلك المشاهدة مخلوق سابق أو لاحق ، ولولا هذه المشاهدة لما استطاع إنسان أن يستوعب قضية الإيمان بالغيب وفى فمها الإيمان بوجود إله .. لماذا ؟ لأن العقل الإنسانى لا يمكنه إدراك مدلول الأسماء المجردة إلا بالرؤية .

إنك لن تعرف معنى الجبل إلا إذا رأيته أو صعدته . ولا تعرف معنى البحيرة إلا إذا شاهدها أو رأيت صورة لها . والله سبحانه لم يشهده إنسان ولا يتسع له عقل . ومع ذلك فإنك حين يذكر اسم الله ، فإنك لا تجد صعوبة فى إدراك المعنى ، وأنه تلك القوة الكبرى التى خلقت وأوجدت وأعطت ورزقت . وحين تتعبد لله تحس بالصفاء يملاً قلبك . هذا كله يعنى أن الله أشهدنا على نفسه فى عالم الذر عند خلق آدم . وأتينا نعرف أنه موجود ومُوجد كل شيء . وهذا ما نسميه الفطرة الإيمانية .

إننا نولد وفيما فطرة الإيمان التى تملأ نفوسنا وقلوبنا . فتجذبنا إلى الخالق الأعلى . وفطرة الإيمان هذه موجودة فى كل مولود ينجبنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (أى يجعلانه مجوسيا) .



صور الخلق

نعود بعد ذلك إلى صور الخلق من الله تعالى وهي أربع :

خلق بدون ذكر وأنثى أى من الله سبحانه وتعالى مباشرة بدون الأسباب . وهذا هو خلق آدم .

وخلق من ذكر وأنثى وهذا هو خلق حواء . خلقت من ضلع آدم . كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

(من الآية الأولى من سورة النساء)

وخلق من ذكر وأنثى وهو الذى ينم بمشيئة الله سبحانه وتعالى وبالأسباب .

والأسباب هنا هي وجود الذكر والأنثى . ولكن طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى . شاءت ألا تجعل الأسباب تعمل وحدها . بل هي تعمل بإرادة المسبب . ولذلك قد يتزوج الرجل والمرأة . وتتوافر الأسباب التى توجد الإنجاب ، ومع ذلك لا يحدث . ولا تأتى ذرية . لأن مشيئة الله فوق الأسباب . وقرأ

قوله سبحانه .

﴿لِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝١٩ أَوْ يَرْجُهُمْ ذُكْرًا
وَأُنثًا يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۝٢٠ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٢١﴾

(سورة الشورى)

حتى يعلم أنه حتى مع وجود الأسباب المتمثلة في الذكر والأنثى لا يحدث التكاثر إلا بالمشيئة الإلهية وبطلاقة قدرة الله فيجتمع الذكر والأنثى ولا يتم للإنجاب . لأنه ليس عملية ميكانيكية بشرية الأسباب ولكن فوق كل الأسباب تعلو مشيئة المسبب .

واستكمالاً لصور الخلق تأتي الصورة الرابعة وهي خلق عيسى عليه السلام من مريم من أنثى بدون ذكر . لتتم به معجرات الخلق الأربعة ليصبح الخلق بدون ذكر وأنثى ، ومن ذكر دون أنثى ، ومن اجتماع الإثنين . ومن أنثى دون ذكر .

هذه هي صور الخلق .

الله سبحانه وتعالى أوجد مرحلتين في خلقه هما الموت والحياة . فالحياة خلق الله سبحانه وتعالى . وكذلك الموت خلق الله

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(من الآية ٢ سورة الملك)

إن كل مرحلة من هاتين المرحلتين ، الموت أو الحياة ، لها قوانينها التي تحكمها . ونحن لا نعرف من هذه القوانين إلا ما أخبرنا به الله تبارك وتعالى وهو أقل القليل . ولكننا - مع ذلك - نحكم بأقل القليل هذا حكما عاما .

وبعض الناس يحرم أنه ليس هناك في الكون إلا ما نراه في حياة اليقظة ، مع أن هذا الشخص الذي يقول هذا الكلام يُتَوَفَّى وَيُرَدُّ إلى الحياة كل يوم ، ويستقل من قانون إلى قانون في ثانية ، ودون أن يدري يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

(من الآية ٤٣ سورة الزمر)



الموت والحياة .. قوانين

الإسان عندما ينام يتقل من قانون إلى قانون . فهو في حالة اليقظة ، تحكمه قوانين محددة . إنه يرى الأشياء المادية ويمضي في حركة الحياة بعقله . ذلك هو العالم المُشاهد للإسان . العام الذي يعرفه جميعا وتشارك فيه البشرية كلها لكر عندما ننام . يصبح في عام آخر ، لا يخضع للعقل ولا للمنطق ولا لمشاهد الدنيا فنحن نخرج من الزمن . فلا يحس الإنسان بالوقت وهو نائم لذلك إذا لم يلجأ إلى آلات قياس الوقت أو إلى الطواهر الطبيعية . كأن يكون قد نام مهارة ثم أظلمت الدنيا ، أو نام ليلا ثم جاء ضوء الشمس . لو لم يلجأ إلى هذه الأشياء ، فإنه لا يعرف الوقت الذي قضاه في النوم .

فالنوم يجعل الإنسان خارجا عن نطاق هذه الدنيا لا يحس بها ولا يعرف شيئا عنها . منفصلا تماما ، وكما هو منفصل عن أحداث الدنيا ، فإنه أيضا منفصل عن قوانينها . إنه يرى - في الأحلام - وعيناه معمضتان ، ويجرى وقدماه فوق السرير لا تتحركان ويسقط من فوق حل عال فلا يصاب بشيء ، ويرى نفسه وهو يطير في الهواء أو تحسف به الأرض ويحس وهو نائم ، فقد يبكي وقد يضحك ، وقد يأتيه كابوس يجعله يصدر أصواتا مزعجة . أو يقوم من نومه فزعا .

به أثناء النوم لا ينحصر لقويين لعقل ولا المطلق
ولا القويين التي تحكمنا في عالم المشاهدة. وإذا قلت لإنسان
مثلاً أنت ذهبت إلى أمريكا وعدت عشرين مرة في ليلة
واحدة ، هل يمكنك أن يكذبك ؟ الجواب لا . وإذا قلت له
بك في مدمك قد تحدثت إلى فلان وفلان السيدس انتقلا إلى
رحمة الله مد فترة طويلة ، أيمكن أن يكذبك ؟ الجواب لا .





ما هي قوانين النوم

إن الإنسان في فترات نومه - كما قلنا - يخضع لقوانين لا يمكن أن يصل إليها العلم لقد اتفق الناس على إخراج ما يراه الإنسان وهو نائم من قوانين الحدل . فلا يناقشك إنسان فيها مهما اشتطت ومهما توغلت في دائرة اللامعقول .

لقد حاولت المدارس النفسية المختلفة أن تجد تفسيراً لما يراه الإنسان وهو نائم ، ولكنها فشلت جميعاً رغم كل ما يقال عن علم النفس . فكل ما أق به - هذا العلم - في هذا الشأن ما هو إلا مجرد تخمينات وظن لا يصل إلى الحقيقة .

إن العلم يقول : إن أقصى مدة يشغل فيها العقل أثناء النوم تساوي سبع عشرة ثانية . . ومع ذلك فإن الإنسان يرى أحلاماً - لكي يرويها - قد يحتاج إلى ساعة أو أكثر .

هذا الانتقال من قانون إلى قانون يحدث لكل منا . والله سبحانه وتعالى رحمة بعقول عباده أراد أن يعلموا أن الإنسان حين ينام ينتقل إلى عالم الموت وعند اليقظة يرد الله سبحانه وتعالى روحه إليه . لماذا ؟ حتى يعرف الإنسان أنه من الممكن أن ينتقل من قانون إلى قانون إلى قانون . فإذا قيل للإنسان أنه في الآخرة سيخلد . نعلم أنه سوف يخضع لقوانين أخرى . ولا نتعجب !

كيف يمكن للإنسان أن يخلد ؟ لأن هذه حياة لها قوانينها التي
تسرى على الإنسان

إذن إنتقل كل ما من قانون إلى قانون آخر . يتم كل
ليلة . ودون أن نشعر ثم نعود بعد ذلك بقدرة الله تعالى إلى
القانون الأول الذي يحكما ساعة اليقظة . ثم سام فننتقل إلى
قانون آخر .

ولا أعتقد أن أحدا من الذين يدعون العلم ، يستطيع أن
يفهمنا ما هي القوانين التي يحصع لها الإنسان ساعة النوم ،
ولا كيف يرى وهو معمصر العينين ؟ ويجرى وقدمه
لا تتحركان . ويسافر ولم يبارح مكانه ؟

إذن هناك ملكات أخرى في الإنسان لا نعرفها هي التي
تعمل أثناء النوم . وهناك قوانين لا نعرفها ينتقل الإنسان
خلالها في رحلة العمر .



بدايات الحياة



لقد حاول كثير من العلماء أن يصوروا لنا بدايات الحياة
تصويرات مختلفة ، نأما بدأت بالمخلوق ذى الخلية الواحدة .
ثم انقسمت الخلية وتطورت إلى آخر ما يقولون .

ونقول لهؤلاء : إننا لا تأخذ الحياة إلا عن حالعنا . فحائق
الشئ هو الذى يستطيع أن يخبرنا عنه . والله سبحانه وتعالى
- وهو الذى خلق أخبرنا أنه خلق الإنسان من طين الأرض .
ولقد استطاع العلم الحديث الذى كشفه الله لخلقه أن يثبت أن
هذا الطين مكون من ثمانية عشر عنصراً . وحدوها كلها فى
جسد الإنسان .

وقد تتفاوت سبب هذه العناصر .. فتحد فى بعض
لأجساد الحديد أقل أو المغنسيوم أقل ، أو الكالسيوم مثلاً ،
وعندما يتبين للإنسان ذلك - بوسائل التحليل الحديثة - يذهب
إلى الطبيب فيعطيه من العلاج ما يعوض به ذلك النقص فى
عناصره . ولكن العناصر - الثمانية عشره - تبقى كما هى ثمانية
عشر عنصراً فى كل جسد .

الله سبحانه وتعالى أخبرنا انه خلق الإنسان من طين ، ومن
صلصال من حمأ مسنون .

وذلك في قوله تبارك وتعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ ﴾

(سورة ص)

وقوله تعالى .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ نَّسْنُونٍ ۝٢٨ إِذْأَسَوَيْنَاهُ فِئَةً وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَفَعَلُوا لَكَ سَاجِدِينَ ۝٢٩ ﴾

(سورة الحجر)

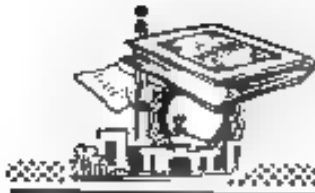
وهكذا حدد لنا الله سبحانه وتعالى عناصر جسد الإنسان ومراحل الخلق . والله سبحانه رحيم يعقولنا ، لذلك عندما تأتي قضية غيبية يعطينا من المظاهر المشهودة ما يقرب المعنى الى عقولنا .

نحن لم نشهد الخلق ، ولكنا نشهد كل يوم الموت ذلك أمر مشهود لدينا . ونقض أى شيء عكس بانه فانت حين تبنى عمارة مثلاً تبدأ بالدور الأول حتى الدور الأخير ، وحين تهدمها تبدأ بالدور الأخير ، وحين تذهب الى الاسكندرية فإن آخر ما تصل إليه هو الاسكندرية . فإذ أردت أن تعود ، فإن أول ما تغادره هو مدينة الاسكندرية . . إذن الموت عكس الحياة لأنه نقص لها .

إن أحر ما دخل في الإنسان - كما أخبرنا الله تعالى - هو الروح . وهي أيضا أول ما تغادر الجسد ، ثم بعد ذلك يتصلب الإنسان فيصبح كالخما المستون متصليا . ثم يتعمس الجسد فيصبح كالصلصال ، ثم ينفصل الماء عن الطين ، الماء ينزل إلى الأرض والطين يصح ترابا . هذه هي الحقيقة التي ذكرها القرآن الكريم : والتي يأتي الموت شاهدا عليها .

الإنسان يريد أن يعرف ما هو الموت ؟ بقول له إعرف أولا ما هي الحياة فالذي يعطي الحياة للجسد هو الروح . والروح مخلوق في داخلك ولكنها غيب عنك أنت لا تعرف الروح هيتها أو شكلها وإنما تعرفها بآثارها . لأنها هي التي تعطيك الحس وتعطيك الحياة .





عطاء الحياة فى الروح

ولكن أين هى الروح ؟ هل هى فى عقلك الذى يفكر ؟ أم فى يديك التى تبطش بها ؟ أم فى قلبك الذى يضض بالحياة ؟ أم فى قدمك التى تمشي بها ؟

أين هى وما شكلها ؟ لا أحد يعرف .

فإذا كنت لا تعرف سر مخلوق من مخلوقات الله يعيش فى جسدك .. فهل تستطيع أن تعرف سر الخلق كله ؟ هذا مستحيل

إننا نرجو أن تحل المشكلة أولاً فى نفسك وفى داتك ، قبل أن تصدر حكماً على البشرية كلها . ولكك إذا كنت قد هشلت فى أن تعرف سرّاً من أسرار خلق الله وضعه فى جسدك ، فهل تستطيع أن تعرف أسرار الله فى كونه ؟ الخواب هو لى تستطيع . ولكن الإنسان يكابر ويحاول أن يعنى فيه لا يدخل فى اختصاصات العقل البشرى .

إن العقل البشرى له حدود . ومهمته أن يختار بين البدائل فى الحياة ، وأن يميز بين الخبيث والطيب . إنه أداة الاختيار التى يميز بها الإنسان لأنه خلق مختاراً . هذا العقل لا يستطيع الإنسان أن يتجاوز به ما جعله الله غيباً .



الوجود .. وإدراك الوجود

لقد أتعب الفلاسفة عقولهم في محاولة الوصول إلى ما وراء المادة ولكنهم لم يتوقفوا لحظة واحدة ليثساءلوا من الذى قال لهم إن هناك شيئاً فوق المادة . فطرة الإنسان الإيمانية قالت هذا . لأنها تعرف وتحس أن هناك أشياء وراء المادة . ولكن هل يمكن الوصول إليها بالعقل البشرى ؟

الجواب لا . إلا إذا أراد الله تعالى أن يكشف لخلقه سرّاً من أسرار كونه . لأن الله تعالى يكشف لخلقه في كل جيل سرّاً من أسرار هذا الكون لم تكن البشرية تعرفه . فإذا صادف هذا السر عالم يبحث عنه . . كشفه الله له وإذا لم يصادفه عالم . . كشفه الله لنا بما نسميه نحن قانون المصادفة . . وقانون المصادفة هذا قانون حيالى لا وجود له إلا في عقل البشر

إن هذا الكون بأقداره وأحداثه الصغيرة والكبيرة مرتب من الله تعالى حدثاً وراء حدث لا يعيب عن علمه شيء مهما صغر ولا يقع في كونه شيء إلا بإذنه . بل إنه من العظمة أن الله سبحانه وتعالى سجل كل أحداث الكون من بداية الخلق إلى يوم القيامة . في كتاب من قبل أن يتم الخلق . وقرأ قوله سبحانه في كتابه الكريم :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الحديد)

وقوله تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرْ وَالْخُ
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا رَءً
رَءً وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩ ﴾

(سورة الأسماء)

وكون الله سبحانه وتعالى سجل كل أحداث الكون ،
فمعنى ذلك أنه لا يوجد شيء اسمه المصادفة . ولكن كل شيء
يتم بترتيب دقيق . وبنظام بديع . ولذلك فلا شيء يحدث
بالمصادفة . إنما نحن - لأننا نحزننا عن إدراك أسرار الوجود -
نطلق على الأحداث أنها تتم بطريق المصادفة .

حقيقة أن الله سبحانه وتعالى يكشف للعقل من أسرار
الكون بالتدريج مما لم نكن نعرفه ، ولكنه كان موجودا قبل أن
نعرفه ، ولذلك فإن هناك فرقا بين الوجود . وبين إدراك
الوجود . فملايين الأشياء موجودة حولنا تؤدي مهمتها في
الحياة . ولكننا - وإن كنا ننتفع بها - لا ندرك وجودها . لقد شاء
الله تعالى أن يعلمنا أن هناك ملايين الأشياء تؤدي وظيفتها في
الكون وإن لم نكن نعرفها ، وأن عدم علمنا بها لا يعنى أنها غير
موجودة .

ونوجز ما فصلناه في هذا الفصل فنقول : إن الله سبحانه
وعلى . جعل الحياة من ذكر وأنثى . فمن كل شيء خلق الله
زوجير . وأن الكاثر لا يتم سوع واحد . وانما يتم بالنوعين
وأن طلاقة القدرة لا تفيدها الأسباب .

ثم بينا أن الحياة سلسلة متصلة منذ آدم إلى يوم القيامة
تنتقل من إنسان حى إلى إنسان حى فإذا أدركها الموت
توقفت .

ثم بينا أن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى سر الحياة أو بداية
الخلق وكيف تم . لأنه لم يشهد هذا . وإذا كان الإنسان قد
فشل في أن يعرف سرا من أسرار جسده - وهو الروح - فكيف
يريد أن يعرف السر في خلق الكون كله .

إن الله سبحانه وعلى لم يجعل العقل أداة لمعرفة سر الحياة
بل إن العقل يتدبر في آيات الله في كونه . ليعلم يقينا أن الله
تعالى هو الذى خلق هذا الكون . فإذا جاءه رسول يحمل منهج
الله . فكان من الواجب أن يستقبل هذا الرسول بالإيمان .
ولكنه استقبله بالكفر والعياذ بالله .

ونحن حين نريد أن نعرف سر الحياة وسر الموت فلا بد أن
نأخذ ذلك عن الله الذى خلق الموت والحياة . وأبنا في كل يوم
نتنقل من الحياة إلى الموت عندما ننام ، ومن الموت إلى الحياة
عندما نستيقظ . ولكننا لا نلتفت إلى ذلك لغفلتنا وقصورنا

وأن الإنسان يحصع على الأقل لقانونين في حياته . قانون
اليقظة وقانون النوم .

ولكن ما هي الحياة ؟ هذا ما سوف نتناوله - بإذن الله
وعونه - في المصل التالي



الفصل الثاني

ما هي الحياة ؟



في محاولتنا لمعرفة معنى الحياة . . يجب أن
نعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يقصر الحياة
على الإنسان والحيوان وحدهما ، بل إن الحياة
تمتد في كل رقعة في هذا الكون . نحن نأخذ
الحياة على أنها الحس والحركة . . والحقيقة
أن الحياة هي أن يؤدي كل شيء مهمته في
هذا الكون .

نحن نقول إن الإنسان حي لأنه يتحرك ويمشي ويتكلم
ونقول إن الحيوان حي لأنه يتحرك وفيه حس . ونقول إن
النبات حي لأنه يتنفس أما باقي الكون فحسن نعتقد أنه غير
حي . وهذا غير صحيح . كيف ؟!

إن مفهوم الحياة في هذا الكون يختلف عن مفهومها تماما
فأجناس الكون أربعة : هي الحماة والنبات والحيوان
والإنسان وكل حس من هذه الأجناس يخدم الآخر .
ويتوقف عند خصائصه .

والحماة - على سبيل المثال - يخدم النبات والحيوان
والإنسان وآخر خصائصه هي النمو ، إن هذا تحده في
الشعب المرحانية في البحار ، إنها تنمو رغم أن الحماة ليس له
صفة النمو ولكن كل حس من أجناس الكون ، له ترقيات
تتوقف وتنتهي عند بداية خصائص الحس الآخر التالي له .
الحماة تتوقف في ربيعه عند خصائص النمو ، وهذه أول خاصية
بالنسبة للنبات والنبات يبدأ بالنمو ويتوقف عند الحس

فيوجد سات يحس مثل (الست المستحية) كما يسميها أولاد
البدن وهي رهرة إذا اقتربت منها بإصبعك صمت أوراقها .

والحيوان يبدأ بالحس ويرتقى فيه حتى مبادئ العقل ، التي
تتكون فيه غريزيا . فوجد أن بعض أنواع القرود الراقية ،
تستطيع أن تقلد الإنسان ولكن بلافهم ولا تورث

إن في استطاعة الإنسان أن يدرّب الحيوان على القيام
بألعاب فيها نوع من الفكر الدائى ، ولكن هذه المهارات
- بالنسبة للحيوانات - لا تورث بمعنى أن القرد الذى تعلم
القصر من فوق الحواجر ، لا يلد قردا يفعل ذلك دون تدريب ،
مما يؤكد لنا أن كل الأعمال التى تقوم بها الحيوانات المدربة ، إنما
هى أشياء مهارية ، اكتسابية فردية .

يأتى بعد ذلك الإنسان الذى هو سيد هذا الكون الذى ميره
الله سبحانه وتعالى بالعقل . ليتدبر فى كون الله ويعقل آيات
الله ويتبع منهجه سبحانه وتعالى .

نحن سطر إلى الجهاد على أنه ليس فيه حياة* وحركة ،
ولا بلغت إلى أن مهمته فى الحياة تقتضى ذلك . إنما إذا تدبرنا
قول الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه :

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

(من الآية ٨٨ سورة القصص)

سرك عن يمين أن كل ما يطلق عليه شيء في هذا الكون
سيهلك يوم يصبح في لصور ومادام الله سبحانه قال (كل
شيء) سيصبح هالكا إذن (لكل شيء) فيه حياة . لأن
الهلاك - كما قلنا - هو عكس الحياة أو مقابله . وإقرأ قوله
سبحانه

﴿لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾

(من الآية ٤٢ سورة الأنفال)

إن هذه الآية لكريمة تدلنا على أن الهلاك مقابل للحياة .
وإذا قال الله سبحانه وتعالى : « كل شيء هالك » فمعنى ذلك
أن (كل شيء) كان حياً سوف يهلك إلا وحه الله سبحانه .



بحر نتحدث عن الحياة على أساس أنها حس وحركة
لأننا نقيس ذلك على أنفسنا بحر لكن يجب أن تقاس
(الحياة) على أساس مهمه كل شيء في هذا لكونه والحمد له
حياة تناسه والسات له حياة تناسه والحيوان له حياة
تناسه لكي تبقى حقيقة لا يس فيها ولا خدال . هي أن
هذه الأنبياء مسحة لله سبحانه وتعالى وذلك مصداقا لقوله
تعالى

﴿ وَمِمَّنْ دَابَقَ فِي الْأَرْضِ وَلَا صَيْرُ طَيْرٍ نَحْتَا جِهَهُ إِلَّا أُنْمِتْ
أَمْثَلَكُمْ مَا فَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَرُفِّقَ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝ ﴾

(سورة النعام)

وقوله سبحانه .

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۝ ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الإسراء)

ولبدأ بالحمد إلى له حياته التي تلائم مهمته وإن كنا
لا نفهمها إلا نرى الحمد أمامنا ساكنا لا يتحرك ولكن هل
هذه حقيقة ؟!

لقد كانوا - وبحر في المدرسة - يعملون كيف يعمط الحديد
أي يجعل منه معنطيسا وكما نأق بأسوبة فيها برادة الحديد ثم

نأتى معطائيس وعمر عيها فى تجه واحد فوجد أن لمرادة قد
عبرت حركتها وارتطمت صفا واحداً وأصبحت مغلقة هذه
العملية التى تحركت فيها جرثبات الحديد تتم فى كل قصيب
حديد يمر عليه معطائيس فى إتجاه واحد هذه العملية السيطه
لى لاحظناها فى (برده الحديد) هى نفسها التى تحدث عندما
تمرر معطائيس على قصيب من حديد وإن كما لا نلاحظها
سبب كثرة الحديد وتمسكها .



الجماد يبكى .. ويسمع ويتكلم

إذن هناك حركة في الجماد لا ندحطها العين ولا نعرف عنها شيئاً ولكنها تتم ليؤدي الجماد مهمته في الحياة ككائن حي وليس كجماد ميت . نحن نقول إن الجماد لا حياة فيه ولكن هذا الجماد الذي ندعى أنه لا حياة فيه . له عواطف ولكننا لا نعرفها وإقرأ قول الحق سبحانه وتعالى .

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كُنَّا مُنظِرِينَ﴾ (٣٩)

(سورة النمل)

إن الأرض والسماء لهما عواطف وهما تكيان وربما تضحكان . وإن كما لا يدرك ذلك ونظن أنها حاملة لا تحس ولا تبكي والأرض والسماء لهما آذان يسمعان كلام الله ويفهمانه ويردان عليه كما يحبرنا بذلك رب العزة سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

﴿ثُمَّ أَسْمَوْنِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٥٠)

(سورة فصل)

لقد توجه الله بكلامه إلى السماء والأرض ففهمتا مراده عز وجل وتكلمتا بلغة لا يعلمها إلا الله ، وإذا كان الأمر

كذلك . . فلا يحزن لنا أن نقول الأرض صماء والسماء كذلك
بل إن الأرض لها ما يشبه الأذن تسمع بها وتستجيب . واقرأ
قوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنُ رَبِّهَا وَحُتَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ
مُدَّتْ ③ وَاللَّهُ مَا فِيهَا وَنَحَّتْ ④ وَأَذْنُ رَبِّهَا وَحُتَّتْ ⑤ ﴾

(سورة الانشقاق)

ما معنى أذنت ؟

معناها أنها سمعت بأدبها . أى أن السماء لها أذن تسمع
بها . والأرض لها أذن تسمع بها . وإذا قال الله لها سمعتا
وأجابت . كن هذا لا نعني عنه بحر شيئا

كذلك بين الله لـ أن في هذا الحماد عاطفة وحشية لله أكثر
من عاطفة وحشية قلب الإنسان . يقول الله سبحانه

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمَّا يَنْفَجْرُ مِنْهُ لَأَنْهَارٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا
يَنْقُورُ فَيُضْرَجُ مِنْهُ لَمَأٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهَرُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

(من الآية ٧٤ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن للجهاد ألوانا من الحياة ذكر بعضها في القرآن الكريم ، وكنا لا نعرف عنها شيئا . وجاء بعضها في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخصى وهو يسبح بين يديه وكانت الجبال تسبح مع داود عليه السلام . وفي ذلك يقول القرآن الكريم .

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

(من الآية ٧٩ سورة الانبياء)





والنبات أيضا

وإذا انتقلنا من الجهاد إلى النبات نجد أن فيه حياة . وأنه مسبح ذاكر لله . وقصة حذع النحلة الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحطب وظهره مستند إليه قصة مشهورة عندما جعلوا له منبراً . لقد أصدر هذا الجذع أليسا حربا على فراق النبي صلى الله عليه وسلم له إن هذا يدل على إحساس وشعور للنبات وإن كنا لا نعرف لغه . والنحلة لتي قبلت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي إحدى معجزاته العديدة . .

إن ذلك يعطينا صورة للحياة عند النبات لا نعرفها . فنحن نعرف أن للنبات نمو . ولكن أيضا فيه اختيار إلهي مخوق فيه . ذلك أن النبات يأخذ الماء من التربة في شعيرات صغيرة فيما يسموه (الضغط الإسموزي) ، مما يجعل الماء يصعد في هذه الشعيرات .

ولقد قمنا بهذه التجربة ونحن في المدارس . عندما أتوا لنا بأابيب شعرية . ووضعوها في إناء مملوء بالماء فصعد الماء في الأابيب الشعرية بواسطة الضغط الإسموزي . وقالوا إن النبات يتغذى بهذه الطريقة . ولكنهم نسوا شيئاً . فلو أن النبات يتغذى بهذه الطريقة لما وجدت ثمار مختلفة مدام الماء واحداً والأرض واحدة ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى النبات فوق خاصية النوع خاصية الاختيار . لذلك نجد

أن كل شجرة تختار من الأرض العناصر التي تناسب نوعها
وثمرتها .

إن هذه الشجرة تختار من العناصر ما يوفر لثمرتها الحلاوة
واللون والرائحة الجذابة المميزة مثل شجرة التفاح بينما
بحوارها شجرة الخنظل . تختار ما يجعلها شديدة المראה
حامدة . ذا لون مميز ويحاسبها شجرة الفلفل ، تختار
ما يجعلها حريفة ذات طعم حاص كل هذا يسقى بماء
واحد ولكن الحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى في
السات . تجعل كل نوع من الشجر يختار من عناصر الأرض
ما يناسبه . واقرأ قوله تعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ جَبُورَاتٍ وَجَبَّتْ مِّنْ أَعْيَابٍ وَزَرْعٌ
وَنَخِيلٌ صِنَوْنَ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِثَ لِبَعْضِهَا
عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾

(من الآية ٤ سورة الرعد)

هذه بعض ألوان الحياة في السات التي لا نلتفت إليها
حسن وحركة واختيار وأداء لمهمتها .

النملة تتكلم .. والمدهد يعلم ؟

إننا إذا انتقنا بعد ذلك إلى الحشرات نجد أن لها نظاما دقيقا وأن لها لغة تتفهم بها مع جسها ألم تقل النملة عندما رأت جنود سليمان ؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

(من الآية ١٨ سورة النمل)

من الذى عرف النملة أن هذا سليمان ، وأن من معه هم جنوده ؟! ومن الذى أغمها أنهم حين يطاؤون اسمل سيحطمونه ويقتلونه دون أن يشعروا بذلك ؟ من الذى جعل النملة تدرك ذلك ، وبأى عقل أدركت إلا أن تكون لها حياة لا نعرف عنها نحن شيء . وأشياء تدرك . ولكننا لا نفهمها ؟!

إنك لو قرأت قصة المدهد وسليمان لأحسست بمدى لعلم الذى يمكن أن يكون عند خلق الله من غير بنى الإنسان . ماذا قال المدهد لسليمان ؟! يقول الله تبارك وتعالى .

﴿لَحِصَتُكَ يَكْمَلُ مُحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلِ نَبِيٍّ يَقِينٍ ﴿٣٦﴾
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
﴿٣٧﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾﴾

(سورة النمل)

ولنتدبر ما جاء في هذه الآيات . لقد أعطى الله سليمان عليه السلام ملكاً لم يعطه لأحد من العالمين ، ومع ذلك فقد أحاط - سبحانه - لهدهدى لم يعرفه سليمان حتى يعلم سليمان أن الله سبحانه لا يقصر علمه على أحد ، وإن الإنسان إن علم شيئاً غابت عنه أشياء .

من الذى علم الهدى أن هذه المملكة تسمى مملكة سبأ ، وأن هؤلاء القوم تحكمهم امرأة وأن لها عرشاً عظيماً ، وأنهم يسجدون للشمس من دون الله ، وأن ذلك من عمل الشيطان الذى زين لهم أعمالهم ؟ كل ذلك علم أعطاه الله تعالى للهدى بينهما نحن نعتقد أن الطير لا علم لها . وأنها تجوب السماء بحثاً عن رزقها . وأن هذا هو كل عملها !

إن الله يطلعنا أن للمل لغة يتكلم بها ، ولو فهمنا لعرفنا ما يقول . وأن الهدى له علم . ولو عرفنا أن نخاطبه لعرفنا الكثير مما هو غائب عنا . وأن كل هؤلاء يسبحون لله سبحانه وتعالى ! فالحياة لا تشمل الإنسان وحده . ولكنها تشمل أجناس الكون كله . وإن كما لا نعرف عنها إلا قدراً بسيطاً



حياة .. لكن لا نعرفها

إن هناك أحياء ولا نعرف عنهم شيئاً إلا ما أحبرنا الله تعالى به . فالملائكة مخلوقات من نور لا يراها ولا يسمعها ولا يحلوق من نار . لا يراه ولا يسمعه ، إلا إذا نشكل في شكل مادي . ويجبرنا الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم عن الشيطان بقوله :

﴿ إِنَّهُ يَزِيدُكُمْ هُوًاً وَقِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الاعراف)

ونحن نتساءل كيف يمكن أن نؤمن بحياة أشياء وأحاسس لا نراها ؟

يقول : أن رؤية الإنسان للشيء ليست هي الوسيلة الوحيدة لإثبات وجوده ، بل إن هناك ما هو موجود ولكننا لا ندرك وجوده . فوجود الشيء لا يعتمد على إدراكنا لهذا الوجود ، ولذلك هيأ الله سبحانه وتعالى ما كشف لنا من علمه أشياء أدركنا وجودها . ولم نكن ندركها في الماضي .

إليك إذا نظرت - على سبيل المثال - إلى قطرة الماء لا ترى شيئاً . ولكن ضع هذه القطرة تحت ميكروسكوب ضخم ، تجد فيها حياة وأشياء تتحرك . أنظري إلى قطرة الدم . لن ترى

فيها شيئاً . ولكن إبعث بها إلى المعمل ، إنه سيعطيك عشرات الأشياء الموجودة بها مثل كرات الدم الحمراء والبيضاء والهيموكلورين وغير ذلك . بل إن الميكروب الذي يدخل الجسم هو شيء في غاية الدقة ، نراه في الدم وحدد نوعه .

والعلم الحديث أتاح لنا أن نعرف من أسرار السماء ما لم نكن نعرفه . . وفي كل يوم نكتشف أسراراً جديدة وكواكب ونجوماً كانت بالنسبة لنا مجهولة . . هل هذه الأشياء خلقت في اللحظة التي اكتشفناها فيها . والجواب لا . بل كانت موجودة قبل ذلك تؤدي مهمتها في الكون

والميكروبات التي أتاحت لنا الميكروسكوبات الحديثة رؤيتها وعدّها وتصنيفها كانت من قبل موجودة . وكانت تسبب الأمراض للناس . ولكن أحداً لم يكن يعلم عنها شيئاً . إلى أن ظهرت هذه الميكروسكوبات التي تكرر مئات الالف المرات . فاكشفنا أن هناك حياة هائلة لا نعرف عنها شيئاً . حياة فيها توالد وتكاثر ولها قوانينها . ولكنها من الدهر بحيث لا تراها مع أنها تدخل إلى جسدك وتسبب لك الحمى وقد تقتلك

إن أشعة الليزر مثلاً التي تحدد المسافات تحديداً دقيقاً . والتي نستخدمها الآن في الزراعة وفي الجراحة وفي أشياء كثيرة ، هذه الأشعة هل الإنسان هو الذي أوجدها في الكون ؟ بالطبع لا . ولكنها مخلوقة منذ الأزل وتؤدي مهمتها بدقة بينما لم نكتشفها إلا منذ سنوات قليلة .



علم الله وعلم البشر

حين أراد سليمان عليه السلام ان ينقل عرش بلقيس بعد ان عاشرت مملكها في طريقها إلى سليمان ماذا قال لأعونه من البحر والأس ؟ قال كما يروي لنا القرآن الكريم :

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾

(من الآية ٣٨ سورة النمل)

لقد تسابقت الأحناس لإحضار عرش بلقيس لسليمان عليه السلام سكت الإنسان لإيه من طين لا يملك حفة الحركة ولا سرعتها والبحر العادي سكب أيضا لكن الذي تكلم هو عمريت من البحر فماذا قال ؟ يروي القرآن هذه لواقعة بقوله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا أَنَا إِلَيْكَ يَا قُلُوبُ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة النمل)

أى قبل أن يغادر سليمان عجله كم يستغرق مجلس سليمان ؟ ساعة ساعتين ثلاثا . المهم قبل أن يقوم سليمان من مقامه سيجد العرش عنده ولكن ماذا قال الذي عنده علم من الكتاب ؟

قال كما يحكى القرآن الكريم :

﴿ أَنَا إِلَٰهُكَ بِهِ قَبَّلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

(من الآية ٤٠ سورة النمل)

وقبل أن يكمل جملته كان عرش بلقيس موحودا عند
سليمان !!

إذن هناك من العلم ما يجعل الإنسان قادراً عل أن ينقل
شيئاً من مكان إلى آخر في ثوان . ولكن هذا العلم ليس متاحاً
إلا لمن خصهم الله سبحانه وتعالى به . ومعنى انه نقل العرش
في ثوان . . إنه ناداه أو أصدر إليه الأمر فانتقل من قصر بلقيس
في اليمن إلى مجلس سليمان في الشام !

إن هذا يدفعنا إلى أن نسلم بكل ما يأتيه الله سبحانه به من
أشياء لا نراها . ولا ينبغي لنا أن ننكر وجودها ولا حياتها .
لأننا لا ندركها . . لماذا ؟ لأن عندنا بالدليل القاطع مئات
الأشياء التي لم نكن نراها ولم نكن ندرك وجودها . ثم أدركنا
هذا الوجود . فإذا هي حقيقة ثابتة في الكون .

هناك كذلك حياة في أجسادنا . ونحن لا ندركها أعضاء
الجسم . اليد والقدم واللسان والجلد . وكل أعضاء أجسادنا
لها حياة نحن نعتقد أنها مأخوذة منا . بمعنى أننا تأمرها فتطيع .
القدم تأمرها بالسير إلى المسجد فتطيع . وتأمرها بالسير إلى
الحمامة فتطيع . واليد تعين عاجزاً على عبور الطريق وتبطلش

بها وتقتل الناس وتعتدى عليهم . واللسان تقول الصدق
فيطيعك . وتقول الكذب فيطيعك أيضا .

هذه الأعضاء أنت - في الظاهر - مسيطر عليها . تفعل لك
ما تشاء . ولكن في الحقيقة أن لها حياتها الخاصة فهي
مسبحة ومؤمنة ولها لغة تتكلم بها هي مسخرة لك في
الحياة الدنيا فقط . فإذا انتهت . . فلا سلطان لك عليها . .
ففي الآخرة لا تأتمر ولا تخضع لمشيئتك ، بل تشهد عليك
وتلعنك إن سخرتها فيما يغضب الله . وافرأ قول الحق سبحانه
وتعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَلَآءَ وَهَاشَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٠ ۖ وَقَالُوا لِمَ لَمْ يَشْهَدْ شَمُّنَا قَالُوا
أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ ﴾

(الآية ٢٠ ومن الآية ٢١ سورة فصلت)

إن من أذى فريضة الحج يتعجب للنشاط الذي يغمر
الحجاج ، فرغم المشقة ورغم أنهم لا يحصلون على النوم فترة
كافية . تجدهم في منتهى النشاط ، بينما هم يفقدون ذلك
النشاط في بلادهم رغم ما يجدونه من راحة !!

يقول ر ذلك يحدث لأن هذه الأعضاء لا تريد أن تنام
ولا تريد أن تستريح . بل تريد أن تظل ذاكرة عابدة لله .
فإنشاء أداء المشاعر لا يشغل الإنسان إلا ذكر الله . وهذه
الأعضاء تتمنى لو أنها لم تغب عن الذكر بالنوم حتى تظل

مسحة . بينما أعضاء الكافر العاصي تدفعه إلى النوم . حتى
تستريح من معصيته .

قد يقول بعض الناس كيف يمكن لهذه الأعضاء لصحاء أن
تتكلم ؟ ونقول إن الآية الكريمة تقول :

﴿ اَنْطَقْنَا اللّٰهُ الَّذِي اَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(من الآية ٢١ سورة فصلت)

إذن كل ما يسمى « شيء » في الدنيا له لغة ينطقه الله بها
فالكون كله مسبح لله سبحانه ، وإذا تعجبت من أن جلدك
ويديك وقدميك ولسانك تشهد عليك . وأن لها لغة ولها
تميز . نقول إن الله سبحانه وتعالى قد لفتنا إلى ذلك . إننا نجد
أعضاء الجسد يعرف بعضها بعضاً معرفة يقينية بواسطة لغة
خاصة أو شفرة خاصة . فإذا فقدت جزءاً من جلدك مثلاً .
وأردت أن تعوضه بجزء من جلد إنسان آخر فإن الجسد
لا يقبله ويلفظه . بينما إذا جرححت أنت أو فقدت عدداً من
خلاياك بسبب جرح عميق أو حرق . فإن جسدك يعمل كله
بمتهى القوة لينسج نسيجاً جديداً من نفس نوع نسيجك
القديم . ليعوضك عما فقدت .

إذن فكل جسد يعرف أجزائه جيداً . ويطرد الخلايا الغريبة
عنه . ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد علمه كيف يميز بين
خلاياه وخلايا جسد آخر .

كل ما فى الكون ص

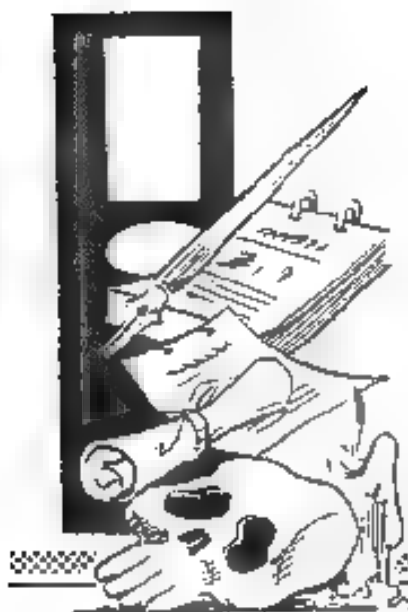
وبإيجاز نجمل ما فصلناه وهو أن كل شيء فى هذا الكون
حتى . وكل شيء له حياة تناسب مهمته . فلا الحمد ميت
ولا النبات ميت ولا الحيوان . ولكننا لا نفهم هذه الحياة وأن
الحمد له حس وشعور وأنه يبكى . وأنه إذا مات ابن آدم بكى
عليه موضعان - موضع سجوده . وموضع صعود عمله . وأن
الله سبحانه وتعالى أعطانا فى القرآن أمثلة عن عدم الأحناس
الأخرى وحياتها . فالتملة علمت أن هذا سليمان . وأنه
سيحطم النمل هو وحيشه بأقدامهم

وأن الحياة موجودة فى كل أجناس الكون . . ما نراه أمامنا
جامداً لا يتحرك مثل صخور الجبال وحيات الرمال . وما نراه
فى أجناس الكون الأخرى التى لا نعلم عن حياتها شيئاً . وبيننا
الدليل أن هذه الأحناس لها مهمة تقوم بها فى الكون .

كما بينا أن الوجود شيء وإدراك الوجود شيء آخر . فالحياة
لا تقتصر على الإنسان . ولكنها تمتد إلى كل أجناس الكون .

ولكن هل هذه هى الحياة التى يريد بها الله سبحانه لنا . هى
الحياة الدنيا . . أم أن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة . .
هى التى عاها رب العزة سبحانه وتعالى . هذا ما سوف
نتناوله - بإذن الله وعونه - فى الفصل التالى .

الفصل الثالث



ما هو الموت ؟

قل أن نبدأ في الحديث عن موت
لا بد أن نقول إن الحياة عند الله ليست هي
الحياة الدنيا . بل إنها الحياة الآخرة . ذلك
أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان
ونفخ فيه من روحه أعطاه الأبدية بمعنى
أن كل من وُلد وحاء إلى هذه الحياة سيقى
خالدا مخلدا . إما في الجنة وإما في النار والعياذ بالله . حتى
الطفل الصغير الذي يموت وهو في أول العمر . سيبعث ويكون
خالدا في الجنة ، بل سيأخذ أبواه معه ويدخلهما الجنة .

إن الله سبحانه وتعالى عندما نفخ من روحه في الإنسان ،
أعطاه الأبدية . فهو يعيش في هذا الكون حياته الدنيا أياما أو
سواب ثم يموت ، ثم يبعث فيعيش أحياء لأبدية في الآخرة
حسب عمله في اتباع المسج أو مخالفه . . فهو إما يعم وإما
يعذب . ويعبر القرآن عن ذلك في قول الله سبحانه .

﴿ وَإِنَّ لِّدَارِ الْآخِرَةِ لَمِ الْخَيَّاتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ٦٤ سورة العنكبوت)

أى أن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي يعيشها
الإنسان . أما الحياة الدنيا فهي محدودة مهما طال أعمارنا
فيها . وهي دار اختبار للإنسان لادوام فيها . يقول الله
سبحانه وتعالى في كتابه الكريم .

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة الانفل)

هذا الخطاب للمؤمنين ، والله سبحانه وتعالى يخاطبهم وهم
أحياء . فكيف يقول لهم (لما يحييكم) مع أنهم أحياء فعلا ؟

يقول إن هذه الحياه ليست هي حياة الخلود التي أعدها الله
للإنسان ولكنها دار اختبار . يختبر فيها الإنسان في مهج
الله . فإذا نجح دخل الجنة . وإذا ترك شهواته ومعاصيه
تسيطر عليه . دخل النار .

الله سبحانه وتعالى يسمى كل حي في هذه الدنيا مَيِّت
ومعنى مَيِّت . أن مصيره حتما إلى الموت . ولذلك يخاطب الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾

(سورة الرمر)

مع أن الخطاب وَجَّه للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وهم أحياء فكيف يخاطبهم الله تعالى بأنهم أموات ؟ ذلك
لأن هذا هو مصيرهم ، والإنسان عندما يولد وتبدأ حياته
يطبق في نفس اللحظة سهم الموت . وبطل الموت يبحث عن
صاحبه حتى يأتي الأجل فيفد السهم .

والموت ليس أصيلاً في الكون . ولكنه رحلة عابرة نحن
في عالم الدر كنا أمواتا . جئنا إلى الدنيا أحياء ثم نموت مرة
أخرى ثم نبعث ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُنَبِّئُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّمُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾

(سورة البقرة)

إن مراحل حياة الإنسان ، أو رحلة الحياة التي يقوم بها الإنسان مقسمة إلى أربع مراحل : المرحلة الأولى موت في عالم الدر . والمرحلة الثانية : حياة في الدنيا ، والمرحلة الثالثة موت في حياة ليرزخ . والمرحلة الرابعة حياة خلود إما في الجنة وإما في النار وفي يوم القيامة يأتي الموت وتقصص روحه أو يذبح كما يخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف :

« يأتي الموت يوم القيامة على هيئة كبش فيذبح ويأدى مساد من قبل الله تعالى يا أهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت »

إذن فهناك نهاية للموت . يقول الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة :

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾

(سورة الدخان)

وهكذا نعرف أن الموت له نهاية . وأن الحياة هي التي تستفي خالدة مخلدة . وأن حياة هي الأصيله في الكون . والموت طارئ عليها .



الحياة في القبر ... !!

عندما يحين الأجل تأتي ساعة الإحتضار وتعقبها حياة القبر . ثم تنتهي هذه المرحلة بالبعث وإذا ما دققنا النظر لأدركنا أن هذه المرحلة أو هذه الفترة وحيزة لا تقاس بما يتبعها من حياة بعد الشور والقرآن الكريم يعبر عنها بلفظ الزيارة في قوله تعالى :

﴿ أَتُحْكَمُونَ ۚ أَلَمْ تَكُنْ مِنْكُمْ رُسُومُ الْفِتَنِ ۖ ﴾

(سورة لكاثر)

إي إن الإنسان في القبر هو مجرد رائر . وليس مقبها إقامة دائمة . ومادم زائراً وليس مقبها ، فإن الزيارة مهما طالت سيأتي لها وقت وتنتهي وتزول وهي زيارة ستنتهي بيوم الحشر . فالموت هو انتقال من قوانين إلى قوانين أخرى مختلفة فالإنسان في حياته له حرم مادي هو الجسد ، ولكن في الموت يعود الجسد إلى الأرض مرة أخرى . ثم ترد إلى صاحبه يوم القيمة .

والموت يبدأ بالاحتضار ومعنى الاحتضار أن حياة الاختيار الشرى قد انتهت فالإنسان في الحياة الدنيا له اختيارات . وله عقل يختار بين البدائل . ولكنه ساعة يحتضر تنتهي فترة الاختيار التي كانت اختباراً له وامتحاناً

والتبلاء وتبدأ مرحلة أخرى جديدة لا اختير له فيها يصح الإنسان فيها مقهوراً . إن الإنسان حين يختصر يعرف يقيناً أنه ميت . لأنه يرى الملائكة . ويرى من كود الله ما كان محجوباً عنه . واقرأ قوله تعالى :

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٣٣)

(سورة ف)

في هذه اللحظات نحمد البشرية وتتحدد المصائر يقيناً إما إلى الجنة أو إلى النار . إما أن يرى ملائكة الرحمة وإما يرى ملائكة العذاب . هكذا أحدهما الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بما يحدث لأهل الجنة حين يحضرهم الموت يقول سبحانه .

﴿يَذَرِنَاكَ فِي قَبْرِكَ فَتَهْتَكُ الْقُبُورَ وَيَتَلَقَّ بِكُمُ الْوَيْلُ الْمَظْلُومُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا الصَّحَافَ الَّتِي فِيهَا الْكُفْرُ وَالْغَيْبُ
الَّذِينَ يَتْلُوا الصَّحَافَ الَّتِي فِيهَا الْكُفْرُ وَالْغَيْبُ أُولَٰئِكَ يَفْتَنُوا الْبَشَرَ
فَلَا تَقْرَأُهَا وَلَا يَسْمَعُوا لَهَا وَلَا يَنْهَوْنَهَا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلْ لَّهِ صَاحِبًا
وَهُوَ الشَّيْطَانُ ۚ فَذَرِكُنَّ ۚ﴾ (٣٣)

(سورة النحل)

وهكذا نعلم أن المؤمنين أصحاب العمل الصالح . ساعة الإحتصار . يرون ملائكة برحمة . ويكون أول شارة لهم بالجنة . فتفرج أسريهم . ويسمعون فرحين لأهم داهون إلى خير مما كانوا فيه . إذا نظرت إلى وجوههم بعد الرفاة تراها ساكنة مطمئنة لما رأت من وعد الله الذي لا يخلعه

أم أولئك الذين كفروا وعصوا الله وأشركوا به وحاربوا

دينه . فإن لقاءهم مع الموت يختلف يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قول الله عز وجل :

﴿ وَلَوْ رَمَيْنا إِدِيَّيَنا لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلِكَةَ يُضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ
وَأُذُنَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ ٥٠ ﴾

(سورة الأنفال)

ويعطينا الله سبحانه وتعالى وصفا آخر للكفار في الآية الكريمة التي تقول :

﴿ وَلَوْ رَمَيْنا إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلِكَةَ باسِطُوا أَيْدِيَهُمْ
أُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(من الآية ٩٣ سورة الانعام)

وهكذا نعرف من هذه الآيات الكريمة انه كما يرى المؤمن مصيره ومقعده في الجنة وهو يحضر ، يرى الكافر مصيره ومقعده في النار وهو يحضر بل إن ملائكة العذاب يهينون لكافر جرأة على كفره فيصربونه على وجهه وعلى طهره . ويجعلونه يذوق عذاب الحريق ويتحدوه إن كانت له عزوة أو جاه أو معة في الحياة الدنيا ، فليخرج نفسه مما هو فيه من عذاب وإهانة ، ولن يستطيع إخراج نفسه لأنه لا يملك القوة ولا القدرة .

لقد انتهى الاختيار الشرى وأصبح مقهوراً ككل جناس الكون . بعد أن نعم بالاختيار في الحياة الدنيا . ومن علامات

سوء الخاتمة - ولنعياد الله - إلك ترى الكافر أو الظالم وقد
اكفهر وجهه وتشح جسده وتفصلت ملامحه من هول ما يرى
من العذاب الذى ينتظره

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الذن من هذا
المصير أيها الناس :

« إن لكم معالم فاستهوا إلى معالمكم . وإن لكم مهابة فاستهوا
إلى مهابتكم . إن المؤمن بين محافتين . بين أحل قد مضى
لا يدري ما الله صانع فيه . وبين أحل قد بقى لا يدري ما الله
تعالى ماض فيه . فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ومن دياه
لآخرته . ومن الشبهة قبل الكبر . ومن الحياة قبل الموت .
والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب . ولا بعد
الدنيا دار إلا الجنة أو النار ،

إن ساعة الاحتضار - كما صورها لنا القرآن الكريم - تزيل
الحجب وترفع الغطاء وتحد البصر ، وتكشف كل ما كان عيبا
عنا مصداقا لقوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا إِذَا بَلَغَ الْخُلُقُومَ ۝۸۷ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۝۸۸
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۝۸۹ ﴾

(سورة الواقعة)

في هذه اللحظة نبدأ أول مسارل الآخرة لأن من مات
قامت قيامته وعرف آخرته إنه حين يموت سمع ، لكنه

لا يستطيع الرد ويرى ، لكنه لا يستطيع أن يروى ما يراه .
إن لهم إدراكا كما للحى إدراك .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا : « إذا ررتم المقابر
فسلموا على أهلها . وقولوا : السلام عليكم ديار قوم مؤمنين »
ومادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بهذا ، فلا بد أن
هناك إدراكا ما عدا أهل المقابر لهذه التحية ، وإلا لما أمرنا بها
رسول الله صلى الله عليه

إذن هناك إدراك ما لسكان القصور بالنسبة لرائدريهم وتحيتهم
لهم وهناك إدراك آخر بأن هناك عقلا أو فكرا مما يجعلهم
يميزون بين الأمل والياس . قال تعالى -

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا قَدْ مَغْنَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ

مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ

الْمُتَبُورِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

(سورة المتنبه)

درجة الياس هذه التى وصلوا إليها محتاجة إلى إدراك بشيء
ما فلا يمكن أن يصل إلى درجة الياس أو يعيشها إلا مدرك
يميز بين الأشياء ، بحيث يعرف أن هذه درجة ياس ، وهذه
درجة أمل . فأنه تعالى قد قال « كم يشك الكفار من
أصحاب القصور » .

حياة البرزخ .. خارج الزمن

إذن حياة البرزخ فيها إدراكات يعرفها الميت ، وحياة القبر ليس فيها زمن . لذلك فإن الإنسان إذا نزل القبر في أول عمر الدنيا . واستمر إلى يوم القيامة . فإنه يعتقد أنه أمضى يوماً أو بعض يوم . والله سبحانه وتعالى أعطانا مثلاً حياً لذلك في قصة أهل الكهف . حيث أمامهم ثلاثمائة سنة وتسعاً وعهداً ، ستيقظوا تساءلوا كما نخبرنا القرآن الكريم :

﴿وَلَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بِأَنَّهُمْ قَالُوا قَائِلٌ مِنْهُمْ كَذِبٌ لَّيْسَ
قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

(من الآية ١٩ سورة الكهف)

لماذا قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم . لأنهم نظروا إلى وحوه بعضهم البعض وإلى ثياب كل منهم فوجدوها كما كانت عندما جاءوا إلى الكهف . وبأنهم حينما قاموا وحدوا أظافرهم طويلة وشعورهم ودقوسهم تحولت من السواد إلى البياض . ووجوههم ظهر عليها أثر السنين . ما قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم . ولكنهم كانوا - خلال هذه الثلاثمائة سنة - خارج الزمن فلم يترك الزمن بصماته عليهم .

كذلك أصحاب القبور يقومون على الهيئه التي دفنوا بها . فلا يموت إنسان وهو طفل ثم يبعث عجوراً معها مرت عليه السنون ، ولذلك يسألهم المولى سبحانه قائلاً :

﴿ قُلْ كَلِمَاتٌ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَكَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

(سورة المؤمنون)

من هنا نعرف من قوانين لبررح . أنه لا رمن يترك بصماته
على لناس ، لأهم يعيشون خارج هذا الرمن .

ولكن هل يوجد عذب لأصحاب القبور ؟ والجواب انه
لا عذب إلا بعد الحساب . وإن كان الإنسان - وهو في قبره -
يرى مقعده من النار ومقعده من الجنة . لماذا ؟ ليعرف المؤمن
فصل الله تعالى عليه لأنه نجاه من النار ، ويدرك هذا الفصل
عندما يرى النار وهيبتها ويرى الجنة وبعيمها . هنا تحدث
المقارنة بين الذي أحسن وبين الذي أساء بين الذي ظلم
نفسه فحرمها من العيم المقيم وما صار إليه من العذاب
المهين . .

يحس المؤمن بفضل الله عليه ورحمته وأنه قد وقاه من الشر
فينشرح صدره ويدرك عظمة نعمة الله عليه .

لقد صور لنا الحق سبحانه وتعالى ما يحدث لآل فرعون وهم
في قبورهم في قوله تعالى :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(سورة عاقر)

منى يعرض آل فرعون على النار ؟ هل عرّصوا عليها في
الدين ؟ لو أنهم عرّصوا ورأوها دقيقة واحدة ما عذبوا فرعون
بل لكانوا هم الدين قتلوه وألقوه في البحر

إن العرّص على النار بالنسبة لآل فرعون لم يحدث في
الدنيا فهل سحدث ذلك في الآخرة ؟ لا لأنه في الآخرة
لن يكون هناك عرّص بل سيدخل آل فرعون النار ليعذبوا

إذن هم لم يعرضوا على النار ولن يعرضوا عليها في الآخرة
ولكنهم سيدخلونها بالفعل .

نفيت بعد ذلك حياة البرخ أو حياة القبر . . إن آل فرعون
يعرضون على النار غدواً وعشيا خلال حياة القبر أو البرخ .
ولكن هل يخرج آل فرعون مرتين كل يوم ليعرضوا على النار ؟
أم أنهم يعرضون عليها وهم في قبورهم ؟

لا أحد يستطيع أن يجزم بشيء إلا أن هناك نوعاً من
العذاب يتعرض له الإنسان في قبره . ولكن العذاب الحقيقي
لا يأتي إلا بعد الحساب يوم القيامة ، ويكفى آل فرعون عذاباً
أنهم يرون النار التي سيعذبون فيها مرتين - غدواً وعشيا - لأن
انتظار اللاء أشد من وقوعه ولذلك فهم متيقنون أنهم

سيعذبون في هذه النار . وكلما نظروا إليها كان ذلك عذاباً
رهيباً لهم . وربما كان عذاباً أشد من عذاب النار نفسها

لقد قضى ربك سبحانه وتعالى أن من حرج من الدنيا لن يعود إليها مرة أخرى ، إلى يوم البعث يقول تعالى .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا لُصَّاءُ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ ﴾

(سورة المؤمنون)

ما هو البرزخ ؟ البرزخ هو الفاصل بين الأحياء والأموات . بحيث لا يمكن لإسنان مات أن يعود إلى الحياة الدنيا مرة أخرى . حتى أن الشهداء عندما رأوا ما أعده الله لهم من النعيم العظيم طلبوا من الله تعالى أن يعودوا إلى الحياة ليحبروا إخوتهم بما رأوا فقال لهم سبحانه لقد كتبت أن من يخرج منها لا يعود إليها . وأحد سبحانه على نفسه مهمة إبلاغ المؤمنين بمفضل الشهادة ومنزلة الشهداء



وحده .. يحيى ويميت

إن الله سبحانه وتعالى هو خالق الموت والحياة أى أنه سبحانه وحده هو الذى ينقل الإنسان من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة . ولذلك فإن من أسماؤه الحسنى سبحانه : المحيى المميت . ويقول سيدنا إبراهيم عليه لسلام قال كما جاء فى القرآن الكريم :

﴿ فَإِنَّهُ عَمَلٌ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝۷۷ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝۷۸
وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝۷۹ وَإِذَا امْرَأَتُ فُتًى شَفِينِ ۝۸۰ وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝۸۱ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الدِّينِ ۝۸۲ ﴾

(سورة الشعراء)

فى هذه الآيات الكريمة ملاحظ أن الله سبحانه وتعالى أكد لأشياء لى يعتقد بعض الناس أن لغير لله فيها عمل أما الأشياء لى لا يمكن أن يدعى إنسان أن له فيها عملا فإنه جاء بها مرسله .

يقول تعالى لى خلقى لا يستطيع أحد أن يدعى أنه يخلق ولكنه قل فهو يهدين . فجاء بصميم الفصل المؤكد ، لأن هناك من يدعى أنه يهدى ويأتى بعير الحق ليجعل للناس

تتبعه وليتخذوه سيلا . إنه سبحانه لم يأت هدا الصمير على
لسان إبراهيم عليه السلام . فلم يقل الذي (هو) خلقى بل
قال (الذى خلقنى) لأن قضية الخلق محسومة لله وحده
سبحانه وتعالى . وحاء الصمير أيضا فى قول إبراهيم عليه
السلام عندما قال : (والذى هو يطعمى ويسقى) حاء لفظ
(هو) هنا أيضا لأن هناك عملا للإنسان فى نفسه مثل
استخراج الطعام وإيصال الماء إلى الناس

ثم قال جل جلاله : « وإذا مرضت فهو شفى » وحاء
بالصمير هنا كذلك حتى لا يدعى أحد أن الطبيب يشفى
والحقيقة غير ذلك تماما فالطبيب يعالج . وى الذى يشفى
هو الله سبحانه وتعالى . بل قد يكون الطبيب سببا من أسباب
الأجل أو أسباب الموت . فربما أعطى المريض دواءً خاطئاً أو
بحقنه بما يعتقد أنه سيشفى . فيكون السبب فى موته . ولذلك
أكدها الله تعالى بصمير الفصل . لأنه كما قلنا يأتى للتأكيد
فقال : « فهو يشفين »

ولكن عندما حاء إلى الموت والحياة لم تكن هناك حاجة
لإستعمال صمير التأكيد فقال . « والذى يميتى ثم يحيين »
لمادا ؟ لأن الموت والحياة لله وحده لا يستطيع أحد أن يدعيهما .

المرود .. وادعاء الموت والحياة

يروى القرآن الكريم لنا قصة « لمرود » ذلك الذي أتاه الله الملك فدلّا من أن يشكر الله على نعمته ويعمل صالحاً أحده عرر الدين فدعى أنه يحيى ويميت وافرأ قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَلَيْنَاكَ مَلَكًا فَذَكَرَ
إِلَهُكَ رَبًّا إِلَهًا مِّنْ دُونِي وَيَذَّبُكَ
عَنِ الْمَوْتِ وَأَنذَرُكَ بَآثَافِ الْمُنِيرِ
فَإِنَّ لِلَّهِ أَنَاثًا مِّنَ الْأُنثَىٰ فَاقْبَلْ
فَإِنَّهَا بَآثَاتُ الْمُنِيرِ وَالْمُنِيرُ
كَفَرٌ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨١﴾ ﴾

(سورة النمل)

وحاء المرود بأحد رعاياه وقال لحسوده اقتنوه ثم قال لقد أمه ! وقل التفتيد قال . عموا عنه . وقل قد أحييته !

يقول له . إنك لم تفرق بين حدثين ولم تفرق بين القتل والموت فالقتل ليس موتاً وإنما هو هدم لسيور الحسد فتخرج منه الروح . لأن الروح لا تبقى إلا في جسد سليم بمواصفات خاصة ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنفَعُ
أَوْ قَتَلَ أَهْلِيكُمْ عَلَىٰ عَقَبِهِمْ وَمِنْ قَبْلُ عَلَىٰ عَقَبِهِمْ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ

شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧٤﴾

(سورة آل عمران)

فالموت يختلف عن القتل . الموت هو أن تخرج الروح من الجسد والبيهة سليمة ولا يبيت إلا الله سبحانه وتعالى . ولكن القتل يستطيعه الإنسان بألة حادة أو بطلقة رصاص وفي الحالتين تعادر الروح الجسد في الحالة الأولى (وهي الموت) تخرج الروح من الجسد والبيهة كاملة . وفي (حالة القتل) لابد أن تهدم البيهة أولاً قبل أن تخرج الروح وكلاهما . الميت والمقتول يحشران إلى الله يوم القيامة . مصداقاً لقوله تعالى

﴿وَلَيْسَ مُتَمِّمٌ أَوْ قَتْلُنَا لَإِنَّ اللَّهَ تَحْشُرُونَ﴾ (١٧٤)

(سورة آل عمران)

وهكذا يرى أنه مهما كانت نهاية الإنسان قتلاً أو موتاً فهو ملاق الله يوم القيامة وكما قلنا أن الموت يقصر للحياة ، وأن الحياة مقص للموت . بذلك فهم لا يجتمعان في شيء واحد ولكن إما حياة وإما موت . قال تعالى .

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢)

(سورة الملك)

فكان الحياة احتدر ويأتى بعده الموت لتبدأ أولى
مراحل الآخرة ثم الحسب لكن الله سبحانه وتعالى أحصى
عنا موعد الموت بحيث لا يدري به أحد فقل سبحانه .

﴿وَمَا نَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا نَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٥﴾﴾

(سورة العباد)

هذا لإحفاء من الله له حكم بالغة أولا إن الإنسان يتوقع
الموت في أية لحظة ، وهذا لتوقع هو إعلام بسوت فأنت
تعلم أنت يمكن أن تموت في الساعة القادمة فتسارع إلى فعل
الخيرات خوفا من ألا يمهلك حنك فتقص وحسنتك
قليلة كذلك تمتنع عن السيئات خوفا من أن تفعلها
ولا يمهلك القدر حتى تتوب فتموت وأنت عاص

إذن إحفاء موعد الموت هو أكبر إعلام به وفي نفس الوقت
أكبر استعداد لملاقاته في كل لحظة ، فسرع إن الخير واستعد عن
المعصية فيعم الخير الكون وتقل المعاصي

ويجب أن تتيقن . أنه لا سبب للموت إلا الأجل .
لا تصدق أن مرضاً يقتل أو رصاصة تصيب إلا إذا انتهى أجل
الإنسان في هذه الحياة فالإنسان حين يمرض قد يأخذ قرصا
من الأسبرين وكوبا من الشاي فيشفي لأن له أجلاً وقد ينقل
إلى المستشفى يحط به عشرات الأطباء ويموت . لأن الموت من
أقدار الله ، وأقدار الله لا يغيرها أحد .

ويقول الله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ١٩ ﴾

(سورة يونس)

لا تأخذ بالأسباب في الموت . لأن الموت يوم أن يأتي فكل الكون أسبابه ولا يستطيع أحد أن يمنع . وقد سئل على بن أبي طالب رضى الله عنه . ألا تحاف الموت ؟ قال : لا يوم يأتي لا يستطيع أحد أن يمنع . ويوم لا يأتي لا يستطيع أحد أن يأتي به . .

إن الأسباب التي تعددها للموت كالمرض والشيخوخة وغيرها إما هي أسباب غير حتمية . لأن الموت إذا جاء لا يحتاج إلى سبب . ولكن من الحق أن نقول . إنه ما بال لأن أجله انتهى

يقول الحق سبحانه وتعالى

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُسِيرَةٍ ﴾

(من الآية ٧٨ سورة النساء)

ونجمل ما فصلنا فيقول أن الحياة والموت فقيضان . ينقض أحدهما الآخر وأن الله سبحانه وتعالى قد منح الإنسان خلودا في الحياة فالموت طرء ويتتهي وسيذبح يوم القيامة

وأن الإنسان خالداً في هذا الكون إما في الجنة وإما في النار والعياد بالله . وأن حياة القبر فيها نوع من الإدراك لذلك سيتم على أصحاب القبور حين بزورهم . كما يعترى الكفار من أصحاب القبور يأساً من رحمة الله . وفيها خروج عن الزمن لأن أصحاب القبور لا يؤثر فيهم الزمن ولا يحسونه . وفيها نوع من شهود العذاب . والموت هو مهية للفترة التي أعطاها الله للإنسان وجعله مختاراً فيها . لكنه عندما يختصر يكون الاختيار الشرى قد انتهى . وفترة الاختبار قد تمت

وأن المؤمن عندما يختصر تتلقاه ملائكة الرحمة يشرونه بالجنة فيموت وهو مشرح الصدر . لأنه داهب إلى خير مما كان فيه . والكافر تتلقاه ملائكة العذاب فيصرون وجهه وظهره ويديقونه ألوان العذاب فيموت مكفهر الوجه لأنه داهب إلى شر مما هو فيه . والله سبحانه وتعالى هو خالق الحياة والموت . لا يمكن لأحد أن يدعيهما . ولا أن يقول أنه يحيى ويميت . والله سبحانه وتعالى يحرح الحي من الميت ومحرح الميت من الحي .

لقد تحدثنا عن موت الإنسان . فماذا عن جلوده ؟ وما حقيقة هذا الخلود ؟ هذا ما سوف نفضله في الفصل التالي إن شاء الله

الفصل الرابع



الإنسان والخطود

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان
 حالدا . هذه حقيقة لا يتنبه لها
 الكثيرون فالناس تقيس عمر الإنسان
 بالحياة في الدنيا . . ولكن هذا زعم
 خاطيء . . الحياة في الدنيا لا تمثل
 إلا مرحلة بسيطة جدا من حياة الإنسان . .
 هذا الكون شمس وقمر وحومه - التي خلقت لتكون في
 خدمة الإنسان منذ ملايين السنين - لا يمكن أن يكون عمرها
 أطول من عمر من خلقها الله له وسخرها لخدمته . ولا يمكن
 أن تحسب حياة الإنسان بضع سنين أو بعشرات السنين التي
 يقضيها في هذا الكون وإنما تمتد - بعد ذلك - لتكون حياة
 أبدية . .

إن كل من جاء إلى هذا الكون من الإنس والجن . . أعطاه
 الله سبحانه وتعالى الخلود . . لا فرق في ذلك بين مؤمن
 وكافر . الصوق - فقط - هو أن المؤمن يخلد في الجنة
 والكافر يخلد في النار . . الفرق سيكون في المكان الذي
 سيكون فيه هذا الخلود . .

الخلود أعطاه الله تبارك وتعالى للإنسان حين نفخ فيه من
 روحه ، ولكن حياتنا شاء لها ربنا أن تكون مراحل : موت ،
 فحياة ، فموت ، فخلود . لكن - لعمري - نحن نأخذ
 مرحلة واحدة وهي مرحلة الحياة الدنيى لنجعلها هي الحياة .
 والحقيقة أن الحياة هي - كما قلت - مرحلة ، أو جزء صغير جدا
 من رحلة الحياة الكبرى الأبدية .

لقد كنا أموات في عالم الدرّ ثم شاء الحق سبحانه وتعالى أن ننشأ إلى هذه الحياة ثم بعد ذلك يميناً فنعيش حياة السرح ونحس أموات . ثم بعد ذلك يبعثنا ليتم الحساب الذي على أساسه تتحدد المواقف ويكون خالدين إما في الجنة وإما في النار والعياذ بالله .

حين يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الحياة . إما يقصد بذلك الحياة الحائلة في الآخرة فالدينا هي دار احتسار . ولاخرة هي الحياة الحقيقية التي لا بد أن يسعى إليها كل واحد منا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه الشريف .

« عالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها »

والموت والحياة هي لله وحده لا يبارعه أحد فيهما . لقد أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان من أسرار كونه ما شاء ، ولكنه احتفظ لنفسه بثلاثة أشياء . الحياة ، وعوامل استمرار الحياة ، والموت فهذه الثلاث لا يستطيع أحد أن يدعيها لأن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق وصن الخلق وعوامل استمرار حياتهم . ثم عندما يأتي الأجل يكتب عليهم الموت فيموتون . بداية الخلق في يد الله سبحانه وتعالى وتلك قصة محسومة لله . فلا يمكن أن يوجد من يهب الحياة لأي خلق إلا الله سبحانه وتعالى . والله تحدى الشريعة كلها في هذا .

يقول الحق سبحانه وتعالى .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاسْتَجِئُوا اللَّهَ إِنِّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ اللَّهُ ذُبَابٌ
شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

(سورة الحج)

لقد تحدى الله تبارك وتعالى البشرية كلها . بعلمائها
وأصحابيها وكل من له حول وقوة فيها ليخلقوا دبابه واحدة .
وقال سبحانه وهو العليم بقصورهم وضعفهم . . والخطاب فيه
تحذير للعلماء منذ نزل القرآن وحتى تقوم الساعة تأتهم لن
يستطيعوا

ولقد كشف الله من أسرار حقيقه لبعض العلماء علم الوراثة
أو الجينات . وكان لمقروض أن وصوهم إلى هذا العلم
يزيدهم إيماناً بأن الله سبحانه وتعالى وضع لكل مخلوق شفرة
حياته . . ولكهم بدلا من ذلك أخذوا يستخدمون هذا العلم
في محاولة تشويه خلق الله ، فتشأ عنه دبابه لها أجنحة في
عينها . وهم يدعون أنهم يغيرون جسر الموت من أنثى إلى
ذكر . ولكنه يكون ذكرا مشوها لا يصلح لشيء . وأن
الشيطان سيغري الإنسان ليحاول العبث وتعيير خلق الله
كإفساد لمهمة هذا المخلوق في الكون . والله تبارك وتعالى يصف

لما دلت في كتابه لعريز فيقول سبحانه وتعالى :

﴿وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مُبِينَتُهُمْ وَلَا مَرْتَبُهُمْ فَيَبْزُقُونَ ذَلِكَ
الْأَنْعَامَ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَعْبِرُوا خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ
وَرِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

(سورة النساء)

فإذا كان علم الخينات قد حقق في الستينات شيئا فإنه
لن يحقق شيئا لا في الحيوان ولا في الإنسان ولن يأتي منه
إلا تشويه الخلق الله بلا فائدة . فكون العث بالجنيات قد
جعل ذبابة لها حياح مكان عيسها فهذا لا يؤدي إلى تحسين
مهمتها في الكون أو جعلها أكثر قدرة ، وإنما هي عملية
إفساد وتشويه !



سر الحياة .. ونهايتها

يقول إن الله سبحانه وتعالى احتفظ بنفسه سر الحياة فلا خلق غيره واحتفظ لنفسه عوامل استمرار الحياة وهي تتمثل في اهواء والماء والطعام فالله حل حلاله هو خالق العلاف الخوى أى أن الهواء الذى يتنفسه جميعا ليس من صنع شر ولكنه من صنع الله سبحانه وتعالى وكذلك الماء الذى يشربه من صنع الله تبارك وتعالى

إن عممية إيراد المطر بداية من السحر لدى يحدث شتعة شمس . إلى تكثيف هذا السحر في طبقات الجو انعديا ثم تكوين السحاب ثم الرياح لتي تدفع السحاب إلى حيث شاء الله ليرى المطر كل هذا من صنع الله سبحانه وتعالى .

ويقول هؤلاء الذين يقولون إن لإسان يرب المطر لن ندخل معكم في حدس إن العالم موء بالصحارى والله سبحانه وتعالى خلق الأنهار التي تمتد ألوف الكيلومترات . . وأوحد لها من عناصر المياه ما يكفل استمرار حرياتها . لا يريد منكم أن توجدوا له سرا . . ولكن كل ما يريده يا من تدعون أنكم تنزلون العيث كل ما يطلبه منكم هو ترعة صغيرة وليس سرا مجرد ترعة صغيرة في الصحراء عندما تحبون في ذلك تعالوا وادعوا أنكم تنزلون المطر أما قبل ذلك فلا كلام لكم عندما . .

إننا لا نريد أن ندخل في مناقشة كلامية بلا موضوعية
فقد تعبنا من السفسطة . . إن خالق الطعام هو الله سبحانه
وتعالى . هو الذى يمدّه بالماء وعناصر التربة اللازمة له . .
فالحبة فيها من إعجاز خلق الله . إنها تعتمد في غذائها على
محروقات للغذاء موحود في نفس الحبة . فيظل هذا المخزون
يعدى الحبة حتى تنبت لها أوراق تنفس بها . وحدود تنمى
الطعام من الأرض .

أن أحدا لا يستطيع أن يدعى أنه حق الحبة الأولى لكل
ما هو موحود في هذا الكون . فالحبة الأولى من القمح مثلا
خلقها الله ثم بعد ذلك إنتقلت من جيل إلى جيل إلى
جيل . وكذلك كل ما في الأرض . . والإنسان يستطيع أن
يطور النوع ليحصل على محصول جيد وأن يزيد
الإنتاجية . . ولكن البداية تبقى دائما لله فالإنسان
لا يستطيع أن يخلق حبة واحدة .

إن عوامل استمرار الحياة كلها من الله سبحانه وتعالى . .
والله يقول عن هذا الخلق :

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُونَ ۝٥٨ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۝٥٩ ﴾

(سورة الواقعة)

إن هذه لنظرة هي من أسباب الخلق . . فالله سبحانه
وتعالى هو الذى خلقها وأوحدها . وجعل الحياة فيها مستمرة

مد عهد آدم حتى يوم القيامة . يقول الحق جل جلاله

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَنَسْمَأَزَلَّمُوهُ مِن مَّرْزِ
رُنَّحْنُ الْمَرْبُوتِ ۝ ﴾

(سورة الواقعة)

الله سبحانه وتعالى يريد أن يفتش . . إلى أن إنزال المطر بيده وحده . وكل ما يقال عن غير ذلك لا أساس له من الصحة . إنه سبحانه وحده القادر على أن يسقيا من الملح ماء عذبا هراتا . . وفي هذا يقول الحق عن الزرع في آياته المحكمات :

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۝ أَنَأْتُمُ زُرْعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝ ﴾

(سورة الواقعة)

وهكذا فإن مهمة الإنسان هي الحرث فقط . . والحب لذي يررع إما هو خلق مباشر من الله والماء الذي يسقى به الزرع من الله كذلك ، ودورة حياة النبات حتى يصح شجرة ثم يعطى ثماره هو من الله ونحن ننقى الحبة في الأرض . ثم نجلس وننظر حتى تصح شجرة مثمرة وليس لنا في نموها ولا في دورة حياتها عمل ثم بعد ذلك نتخرج الثمار فنحبيها .



دورتا الخلق : موت وحياة

وناق بعد ذلك إلى نهاية الحياة . ونهاية الحياة أيضا هي من الله . . فلا أحد يستطيع أن يعطى الخلود لنفسه أو لغيره . والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن نَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (٢٤)

(سورة الأنبياء)

إن كل ما توصلت إليه الدنيا من ارتقاءات حصارية وعلوم وتكنولوجيا تفهم عاجزة أمام الموت . وإن كانت هناك أسباب ظاهرية يتحدث عنها الناس . فإن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن الإنسان يموت لا شيء إلا لأن أجله قد انتهى .

ولكن بقيت نقطة لا بد أن نناقشها . إن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾

(من الآية ٩٥ سورة الانعام)

هذه الآية الكريمة . . حاول بعض العلماء أن يفسرها تفسيراً

سادجا . بأن لله يخرج البيضة من الفرجة والبيضة ميت .
وهكذا يخرج الميت من الحى ، ويخرج الحى من الميت أى يخرج
الكتكوت من البيضة .

لقد سبق أن تحدثنا عن هذه النقطة وقتنا هذا تفسر
سادح . . لأن كل ما فى هذه الحياة الدنيا حى وله حياة
تناسله حتى الجناد . وإذا كان كل ما فى هذه الدنيا له
حياة . فمن هو الميت الذى سيخرج منه الحياة ؟

نقول إن مرحلة الموت ساقطة ولا حمة ، بمعنى أنها كأمواتنا
قل أن نأتى إلى هذه الدنيا . وعندما نأتى تبدأ دورة الحياة ثم
نعود أمواتا مرة أخرى .

إذن فكل ما فى هذا الكون بين دورتي الخلق . (الموت
والحياة) . والله يقول سبحانه وتعالى

﴿ كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة البقرة)

إن كل شئ حى له مهمة فى الحياة الدنيا فإذا انتهت
هذه المهمة خرج من الحياة الدنيا وأصبح ميت . الشجرة
مثلا إذا أعطت كل ما فيها من ثمار ثموت وتخرج من الحياة لأنها
أدت مهمتها . وكل حيوان له مهمة فى الحياة يؤديها ثم يخرج

إلى عالم الموت . وكذلك الإنسان له مهمة في هذه الحياة
وهي فترة الاختبار التي قدرها الله له . وبعد أن يختبر مرة
ومرات تنتهى الحياة بالنسبة له ، لأن المهمة التي جاء من أجلها
إلى الحياة قد إنتهت .

ونعود لتساءل إذا كان كل ما في الحياة الدنيا حى . .
فأين هو الميت ؟



أسماء الذات .. وثبوت الصفات

وقيل أن يجب على هذا السؤال لابد أن نقول : إن من أسماء الله الحسنى المحيى والميت . أسماء الله سبحانه وتعالى تدل على الثبوت وعلى الحدوث معا . فالله سبحانه وتعالى له صفة في ذاته . وصفة في متعريفات هذه الذات . . فإذا قلنا أن الله هو الرزاق . فإنه سبحانه رزاق قبل أن يوحد من يرزقه . أو قبل أن يكون هناك مخلوق يرزقه الله . لأنه سبحانه رزق أول مخلوق له بصفه أنه رزاق . ولو أنه سبحانه لم يكن رزاقا قبل أن يخلق من يرزقه فكيف استطاع أن يرزق خلقه لحظة خلقهم ؟

إن الله خالق قبل أن يخلق . لأنه بصفته سبحانه (الخالق) قد خلق . وصفة الخالق لله موحودة قبل أن يوجد مخلوق واحد . . فالصفة موحودة في الذات أولا . . والحياة خلق والموت خلق . ونحن نعيش خلق الحياة وخلق الموت . نعيش خلق الحياة في هذه الدنيا ، وخلق الحياة الآخرة . . ونعيش خلق الموت قبل أن تأتى إلى هذه الدنيا . وبعد أن نعادرها حتى نبعث . ومدام الله سبحانه وتعالى وحده هو الخالق . فكل شيء يأتى إلى الحياة هو من خلق الله . وكل شيء يخرج من هذه الحياة إلى الموت فهو من الله . وإنتقال الشيء من عالم الحياة إلى عالم الموت . هو ما يطلق الله عليه الموت والحياة .



كنا .. قبل أن نكون

فمن أن أتى إلى هذه الحياة كما مخلوقين دليل أن الله سبحانه وتعالى كلما وأشهد على أنفسنا وأحد علينا العهد ولكنا كما مخلوقين في عالم الموت ثم انتقلنا بأمر الله سبحانه وتعالى وإدنه إلى عالم الحياة فأصبحنا بعد أن كنا أمواتا أحياء .. كيف ؟

لقد انتقل من عالم الموت إلى عالم الحياة الدنيا . وكل من في هذه الحياة الدنيا - كما قد - حي . مجرد انتقلنا من عالم الموت إلى عالم الحياة جعلنا أحياء . وعندما يغادر هذه الدنيا تنتقل مرة أخرى من عالم الحياة إلى عالم الموت ثم نبعث فننتقل من عالم الموت إلى عالم الحياة .

ليس معنى ذلك أن الموت عدم . ولكن معناه أننا انتقلنا من عالم له قويمه ، إلى عالم آخر له قوايمه .. هذا الانتقال لا يتم لأي خلق من خلق الله إلا بإذن الله سبحانه وتعالى .. لقد انتقلنا من عالم الدر إلى عالم الحياة أي كنا أمواتا وأصبحنا أحياء . ثم انتقلنا من عالم الحياة الدنيا إلى عالم البرزخ . فبعد مرة أخرى أمواتا ثم نعود مرة أخرى إلى عالم الحياة ساعة البعث للحساب

إن أحداً لا يستطيع أن يقول . إنا في حياة البرزخ ليس لنا إدراك ، لا . إن لنا إدراكا . لكن من نوع خاص . إنا

بدرک أشياء وبعمل أشياء . . . وحين يحتصر الإنسان تكشف
عوالم الغيب ويرى ما كان مستورا . . . فيطلب إلى الله أن يعود
إلى الدنيا مرة أخرى . لأنه رأى الخزاء رأى الجنة
والنار . رآهما يقينا . فقرأ قوله سبحانه .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَاحِبًا زَكَّاءً ۖ كَلَّا إِنَّمَا كُنَّ هُمُ قَائِلَةٌ وَمِنْ وَّرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ
إِلَى يَوْمٍ يُعْتَوْنَ ۝ ﴾

(سورة المؤمنون)

إن الإنسان في هذه اللحظات يعلم يقينا أين مصيره . مؤمنا
كان أو كافرا . يعرف إن كان مقعده في الجنة أو مقعده في النار
وليعيد بالله . إنه هو بدرک أن مشور حياته لم ينته عموته . .
بل يعرف يقينا أنه داهب إلى عدم بعده وجود . . وإلا لما طلب
من الله أن يرجعه ليعمل عملا صالحا . إمتداد الوجود هذا
يأتى يقينا ونحن في عالم الموت . . وتأتى للإنسان أشياء كثيرة
يقينية . . وهو يعلم مثلا أنه لا هروب من قدر الله . . وأنه
سيعود إلى الحياة مرة أخرى .

المنتقم .. والخلود في النار

إن الموت والحياة كمن قلنا نقيضان لا يستطيع أى إنسان أن يجمع بينهما . ولا أن يخرج نفسه من أحدهما إلى الآخر قد يقول قائل إن الإنسان لا يستطيع أن يخرج نفسه من الموت إلى الحياة . تلك حقيقة نعرفها جميعا ولا يستطيع أحد أن يجادل فيها

ولكن الإنسان يستطيع أن يخرج نفسه من الحياة إلى الموت بأن يتحرر . يطلق على نفسه لرصاص . أو يلقي نفسه من ارتفاع شاهق أو حل عدل . أو يقذف نفسه في البحر

ونقول لمن يدعى هذا : ولماذا الخلط بين الموت والقتل ؟ قاتل نفسه محكوم عليه أن يكون حالدا محلدا في النار لماذا ؟ لأن الإنسان لم يخلق نفسه فلماذا يتصرف فيها ؟ الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقه وهو بحسده وروحه وحياته ملك لله . وهذا انتحر فإنه يكون بذلك قد أهدر ما لا يملكه . والذى يقتل نفسا وهو غير متعمد فجزاؤه الدية . أما الذى يقتل نفسا عمدا متعمدا بغير نفس أو فساد في الأرض . فجزاؤه جهنم حالدا فيها والمتحرر قتل نفسه عمدا متعمدا فحق عليه العقاب .

للإنسان سببها الموت . أى ان الإنسان لا يستقبل هذه الحياة
 إلا إذا أخذ بقيصها قبلها وهو الموت . ليعرف أن هذه الحياة
 ستنتهى إلى ما كانت عليه قبل أن تبدأ دورتها ، فإن كان قد
 سبقها الموت . فإن الموت سوف يتبعها

وهناك فرق بين الحياة في بطون والحياة في واقعها . فالحياة
 في بطون قد تكون هواً ولعباً وتصاحباً بالأموال والأولاد . هذا
 قد يكون مفهوماً بالنسبة للحياة الدنيا . ولذلك عصي فيها
 لحصول عى ما شتهى . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يخلق لنا
 الدنيا لمثل هذا العبث - للعب واللهو - بل جعلها لهدف يريد
 سبحانه تحقيقه . . واقرأ قوله سبحانه :

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْشٍ ۚ لَوَازِدَتْنَا
 أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ إِلَّا تَحَدُّثًا ۚ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُفَّاعِلِينَ ۝﴾

(سورة الأبله)

إذن والله تبارك وتعالى قد حدد مهمة لكل حى . هذه
 المهمة هى الهدف من الحياة . بل هى الهدف من الخلق
 كله . .

إنك إذ أردت أن تعرف مهمة الشيء فاسأل الذى خلقه أو
 صنعه لماذا خلقه ؟ تماماً كما يفعل مع الصانع من الشر إليه يحدد
 هدف صاعته أولاً . هذه عسالة هدفها أن تريح ربة البيت
 من تعب العسيل . لها دورة معينة ونظام معين . . وبعد أن

حدد الصانع الهدف . بدأ يكون الآلة التي تحقق له هذا الهدف . ويحدد طريقة تشغيلها وطريقه صيانتها إذا أصابها عطب . فإذا حدث فيها ما جعلها لا تؤدي مهمتها أسرعاً إلى الكتلوح الذي وضعه الصانع لعرف أين العطب . ولربما ترك الصانع وبدأنا نصلح الآلة على هوانا . فإننا بذلك سنفسدها بدلاً من أن نصلحها

والعجيب أننا نصنع ذلك مع كل صعة بشرية . سيارة ، ثلاجة . . الخ لكننا حين نحاول صيانة حياة الإنسان بمنهج صانعه - وهو أدري بما صنع - نستورد المناهج التي تفسده ، ولا نصلحه بمنهج خلقه الذي وضعه لحياته . لقد أرحنا هذا المنهج حانبا مدعين أننا أقدر على إصلاح البشرية من الله !! والله تبارك وتعالى يبين لنا ذلك في قوله تعالى :

﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

(سورة البقرة)

وإذا أردنا أن نجمل ما فصلنا في هذا الفصل نقول :

أن الله سبحانه وتعالى . خلق الإنسان ليحلد في الحياة . . وأن كل من نفخت فيه الروح منذ عهد آدم إلى يوم القيامة أعصاه الله الخلود . إما في الجنة فيعم ، وإما في النار فيعذب . . ولكنه خالد . . فلا أحد في هذه الحياة الدنيا يموت

ثم لا يبعث . ولا أحد يبعث ولا يحاسب ولا أحد يحاسب ولا يدخل الجنة أو النار . .

وأن الله سبحانه وتعالى جعل بداية مراحل الحياة بالموت .
فبحر جثا بعد موت في عالم الدر فإذا انتقلنا من الموت إلى الحياة . فلا أحد يستطيع ذلك إلا الله سبحانه وتعالى . . فهو وحده خالق الموت والحياة . . وهو وحده القادر على أن يبعث من في قبور . . ولا توجد قوة في هذه الدنيا . طاهرة أو حمية أفرادا أو جماعات . . نستطيع أن نقل الإنسان من الموت إلى الحياة . أو أن توقف نقله من الحياة إلى الموت .

إننا جميعا وكل من في هذا الكون عاجزون عن أن نهب الحياة أو أن نمنع الموت . والحياة والموت نقيضان فمن هو في الحياة ليس بميت ومن هو في الموت ليس بحي . . كل له قوانينه وعالمه .

كما نرى أن هناك موتا وهلاك فتلا . كلاهما مختلف عن الآخر . . ثم نتحدث عن هدف خلق هذا الكون لماذا خلقه الله سبحانه وتعالى ؟ وما هو الهدف منه . . وقلنا أن صانع هذا الشيء هو الذي يحقق الهدف منه ولكن الإنسان يعتقد أنه يستطيع أن يحدد هدفه عبر الذي خلق من أجله . . ندعوى أن ذلك إصلاح في الأرض بينما هو إفساد . ولكن لماذا خلق الله الحياة الدنيا ؟ هذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل التالي إن شاء الله

الفصل الخامس



الحياة الدنيا

خلق الله سبحانه وتعالى الكون لهدف
 محدد وأعلمنا به . . حتى نعرف لماذا تم
 الخلق ؟ وما هو الهدف . وما هي النهاية ؟
 يقول جل جلاله

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ
 مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو
 الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨ ﴾

(سورة الداريات)

إن الهدف من خلق هذا الكون هو عبادة الله وتسبيحه
 وتمجيده وتعظيمه ، ولكن الحق سبحانه وتعالى لم يحدد بالإسم
 هنا إلا (الجبر والأس) . سبب ترك باقي مخلوقات الكون
 بلا تحديد . . لماذا ؟

لأن هذين الوعين من المخلوقات هي التي أعطاه
 الله حق الاختيار . إما تستطيع أن تؤمن ، وتستطيع
 - والعباد بالله - أن تكفر . تستطيع أن تطيع ، وتستطيع
 - والعباد بالله - أن تعصى . أما باقي أجناس الكون فهي
 مقهورة على الطاعة لا يستطيع أن تعصى وهي مسخرة لله
 سبحانه وتعالى . . لا تفعل عن تسبيحه ولا تفتر . وافر قول
 الحق تبارك وتعالى .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝١﴾

(سورة الحج ،

لقد أطلق الآية الكريمة لسجود لكافة الكائنات في
الأرض وفي السماء لا يتحلف منها أحد عن الخضوع
والطاعة والذكر والتسبيح ، ولكن الإنسان لم يحط بهذا
الإطلاق ، وإنما كان هالك فسيان . قسم بطيع ويؤمر ،
وقسم يعصى ويكفر . حدثت هذه القسمة عندما ذكر الناس
فقط . لماذا ؟ لأن الله تبارك وتعالى - كما قلنا - أعطى الإنسان
وكذلك الحمار حرية الاختيار . .

لقد خلق الله هذا الكون العظيم لكي يخدم الإنسان
- الخليفة في الأرض - فأطاع كل الكون حالقه . وتحلف عن
ذلك كثير من الناس الذين جعل الله لهم السيادة على كونه !

لقد عرّض حل حلاله الأمانة - وهي حرية الاختيار - على
كل أجسام الكون ولكنها أشمقت على نفسها من تحمل
هذه التبعة وقالت يارب . نريد أن نكون مقهورين على
الطاعة . . يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

وَأَشَقُّنَ فِيهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٢٦﴾ ﴿

(سورة الاحزاب)

وكان هذا هو لاختيار الأول والأخير لكل أجاس هذا
لكون . أما الإنسان فإنه احتار تحمل الأمانة . لأن الله
أراد أن يأتيه عن حب وليس عن قهر . يكون قادرا على
لكفر ، ولكنه يؤمن حبا في الله . ويكون قادرا على
المعصية ، لكنه يطيع حبا في الله ولجس والانس هي
المخلوقات التي تثبت صفة المحبوبة لله . فتحتار اتباع مهبه
بإرادتها . وعن حب لا عن قهر . . . فتسبح وتسجد وتكبر
وتصل وتدعو الله إعلانا لحبا لله سبحانه وتعالى

الحق تبارك وتعالى يقول « وما خلقت الجن والانس
إلا ليعبدون » ولكي تكون لعبادة حقه يجب أن تشمل كل
حركة الحياة . بمعنى أن تكون جميع أعمال الإنسان معبرة عن
حبه لله . وكل حركة في الحياة هي الدليل الحى على هذا
الحب المهج دليله ، والإخلاص رائده ، وطريقه لا عوج
فيه . . . لا يراه الله حيث نهاه ، ولا يفقده حيث أمره . . .

العبودية الحقّة .. وكيف تكون ؟

الناس تعتقد أن العبادة هي أركان الإسلام الخمسة :
(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة . . وصوم رمضان وحج البيت لمن
استطاع إليه سبيلاً) نقول أن هذه هي الأسس التي يقوم عليها
الدين .

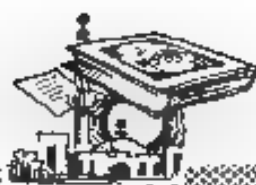
قد ارتضى لنا رسا هذا الدين القويم ليكون على صلة به
دائمة حتى لا يستحوذ علينا الشيطان وحتى نتعرض
لصفحاته وعطائه وفيوصاته في كل وقت وحس . فالصلاة بعد
الصلاة تعطينا تلك الشحنة الإيمانية التي تقينا من الانحراف
عن المبح وتشدنا إلى الله تبارك وتعالى وكذلك الصوم
والزكاة والحج كل عبادة منها هي نور من الله . كلما
أحسننا بقدر الهمة وظلمة النفس لحأنا إلى قس من نور الله
بعيد إلينا نوارنا الإيمان . كما نعمل عندما نصعب البطارية
فتضعها على مصدر الكهرباء القوي لشحن من جديد
والإسلام يشمل مهج الحياة كلها أنه يعطى كل حركة في
الحياة

وأنا لا أريد أن أدخل في جدل عقيم مع الذين يقولون إن
أركان الإسلام هي الإسلام وأنتك مادمت تصلى وتركى
وتصوم وتحج . فقد ضمنت الله إلى حوارك فافعل

ما شئت واترأ حركة الدنيا دون صواط إيمانية تحكمها
أقول هؤلاء جميعاً لم أناقش ، ولكي فقط سأحدث عن
فرص واحد وهو الصلوة فكمي نقيم الصلاة لأبد لنا من
مقومات حياة تمكسنا من الوقوف بين يدي الله .

إن أول ما يجب أن نفعله للوقوف بين يدي الله ولتصبح
الصلوة هو أن نسترعورتنا . . ولا أريد أن أقول أريد ثوباً أو
غير ذلك . وإنما أقول أريد قطعة من القماش نسترعورتنا بها
عورتنا . . هذه القطعة من القماش يحتاج إلى القطر ، والقطر
يحتاج إلى من يرزعه والزرع يحتاج إلى حرث وبدور
وري قد تكون البنود موحودة عندنا ، وقد تكون غير
موجودة وفي هذه الحالة لابد أن نستوردها من الخارج . .
ولابد لكي نحرث الأرض فلا بد أن يكون هناك محراث من
الصلب . . ذلك المحراث البسيط الذي كان يستعمله الإنسان
الأول . .

كذلك نحن محتاجون أن نحث في الجبال عن خام
الحديد . . وأن يصهر ليصنع منه هذه المحراث . . ومحتاجون
إلى حداد يأخذ هذا الحديد المصهور ويصنع منه سلاحاً
حاداً . . ثم من يحصره لنا حتى نستخدمه . . ثم بعد ذلك
عندما ينضج القطر فإننا في حاجة إلى من يحمله . . ثم من
يحمّله إلى المخلع ، ثم من يحمله إلى المعزل ليصنع حيوطاً
ثم إلى النساج ليصنع قماشاً ، وبعد ذلك إلى التاجر الذي
سيبيعه لنا . . كل هذه المراحل لابد منها حتى أفهم أمام الله
سبحانه مستور العورة لتقبل صلاتي



من يعد لنا الطعام ؟

إنني لكى أقوى على أداء الصلاة أنا محتاج لما يقيم أودى . . . للعمة أكلها حتى أستطيع الركوع والسجود . . . لعمة تعطينى لقوة لأفعل ذلك . . . إن هذا الرغيف الذى أشتريه من البقال وراءه قصة طويلة من العمل اسداء من الذى ررع القمح ، إلى الذى طحنه وجعله دقيقا ، وإلى الذى عجه ثم خبزه ، وإلى الذى جاء به إلى البقال لأشتريه . . .

وهكذا نرى أن ما محتاجه لىؤدى الصلاة هو كمية عمل هائلة فإذا جلسنا جميعا فى المساحد نصلى ولا نفعل شيئا غير ذلك . . . فمن الذى يأتينا بقطعة قماش نستر بها عورتنا وبرغيف خبز نقيم به حياتنا ؟ إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . . . وبذلك فإن العبادة تشمل كل حركة فى الكون ومادام الله سبحانه وتعالى يريد الإنسان عابدا . . . فهو يريد عابدا فى بيته . . . عابدا فى مكتبه . . . عابدا فى المسجد . . . عابدا فى الطريق . . . عابدا فى كل حركة حياته الإسلام حث على الآداب العامة وجعل أدما حتى للطريق

إن الله سبحانه وتعالى ورع الثواب عن حركة الحياة كلها لأن المنهج يشمل كل هذه الحركة . . . فحعل ثوانا لمن يزور المريض ، ومن يحكم بين الدس بالعدل ، ومن يحبس معاملة حاره ، ومن يرفع الأذى عن الطريق ، من يعبر عاجزا

على عبور الطريق ، ومن ينفق على بيته وأولاده ، ومن يقضي
حاجات الناس ، ومن يريل طلما ، وصاحب الكلمة لطيفة ،
وصاحب المصيبة ، ولساعى فى سبيل ررقه وورق أولاده ،
ومن ينهى عن المنكر ويأمر بمعروف كل هذ وعشرات
الألوف من الأعمال لا تدخل فى أركان الإسلام . ولكن عليها
ثواب عظيم

بما حين نقصر أعمالنا على أسس الإسلام خمسة محرم
أنفسنا من ٩٠٪ من الثواب الذى أعده الله لنا على حركة
الحياة . وما دام الحق سبحانه قد قال « وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون » فلا بد أن كل مهجه عبادة .
والمهجه بحكم حركة المؤمن فى الكون . فكل حركة فى الكون
عبادة مادام قد قصد بها وجه الله .





المنهج قبل الخلق

لله سبحانه قبل أن يخلق الإنسان وضع له المنهج وحدد له مهمته في الحياة لأن كل من يصنع شيئاً لابد - كما قلنا - أن يحدد أهداف منه أولاً ومادامت الحياة هي صلاحية الشيء لمهمته فلا بد أن يعرف المهمة التي خلق الله من أجلها لقد وضع لنا حالقنا تبارك وتعالى قانون حيات ليكون صاحبه لتأدية المهمة التي خلق من أجلها

ومن العجيب والعريب جداً أن يكون ذات الكون مصدرها الإنسان لأنه مختار وله عقل يختار به بين البدائل . أما لمحدوقات الأخرى الممهرة على الطاعة فلا تتأق من إفساد .

إنها تزدى مهم بها التي خلقت من أجلها قهراً دون اختيار ولكن لدى يفسد الحياة ويفسد الكون هو ما يتدخل فيه الإنسان باختياره . .

الله تبارك وتعالى يريدنا في الحياة الدنيا . أن نتبع منهج من خلقنا . . ويكون بذلك قد أدينا مهمتنا كفاً أحاسن نكون . يقول سبحانه وتعالى

﴿ فَإِنْ تَسَرَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة النساء)

وإذا كان ما في الكون من حديد ونبات وحيوان مسخر
لمهمته وهي خدمة الإنسان . فما هي مهمة الإنسان ؟ مهمته
أن يعبد الله . يقول الله نذكرك وتعالى في الحديث القدسي

« يا بن آدم خلقت هذا الكون لك وخلقته لنفسى
فلا تشغل بما هو لك عما أنت له » .

ولكن ما هو جوهر العبادة ؟ هل يريد الله منا أن نقول
سبحان الله طوال اليوم وكفى ؟ لا . عبادة الله هي شغل
الإنسان بالمهمة التي خلقه الله من أجلها . إن كل حركة في
الكون عبادة . ولجأ إلى قواعد لإسلام الخمسة لشخص
(البطارية) الإيمانية الموحدة في داخلها . ولذلك يكون
معنى : « يعبدون » . هي يطيعون الله في كل المنهج .



مهمة الإنسان في الحياة

كل أحاس الأرض من نبات وحيوان مسخرة لك أيها الإنسان ، حادمة تطيعك في كل ما هو مطلوب منها . مهمتها في الدنيا أن تخدم المؤمن والكافر الطائع والعاصي حتى تقوم الساعة . فيفقد الإنسان هذه الميزة ويستهي هذا التسخير

الشمس في الدنيا لا تعطي أشعتها للمؤمنين فقط والأرض لا تخرج الرزق لمن آمن وتمتعه عما كفر . أحاس الأرض تفعل للإنسان وبالإسناد ، بصرف المطر عن عقيدته وإتجاهه نحو ربه . . فمن يحسن الأحاد بالأسباب تعطيه الأسباب . لا فرق بين من قال لا إله إلا الله ومن رفض أن يقولها .

أما في الآخرة فالوصع يختلف . الأحاس تخدم المؤمن وحده ولا تخدم الكافر . لكن عندما يحاول الكافر أن يكذب على الله ويقول أطعت . تقول قدماه لا يارب . . لقد كان يسير في كل يوم إلى الخماره ويقول يده لا يارب . لقد كان كان يمشي في الصغفاء ويقول لسانه لا يارب . لقد كان يطلق في كلمة الكفر وهكذا تنتهي سيطرته حتى على حسده . . وإقرأ قوله سبحانه .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا يُجْلَدُونَ حِرْلَةً شَهِدْتُمْ عَلَيْهَا
قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَإِنِّي لَنُرجِعُونَهُ ﴿١٧﴾

(سورة صافات)

إذن إختيار الإنسان وخدمة أحاس الكون له . هو للناس
كل الناس في الدنيا ولكن في الآخرة هو للمؤمنين
وخدمهم .

الكفر إذا أراد أن يهرب يوم القيامة لا تتحرك قدماه . .
وإذا أراد أن يستعد عن البار قادته قدماه إلى البار رغما عنه .
وإذا أراد أن يشرب حاء ماء يعنى يقطع أمعاءه . وإذا أراد
أن يلبس فصيل له ملائكة البار دء من نر ملتصق على
جسده .

أحاس الكون لا تخدم الكفر يوم القيامة بل تلعه
وتخرقه وتعدده والله سبحانه وتعالى كرم الإنسان بأن جعل
له حياة أخرى . حياة لا تعطى بالأسباب ولكن تعطى
من الله سبحانه وتعالى مباشرة فيها نعيم لا يفوت الإنسان
ولا يفوته الإنسان الحياة التي تناسب في عطائها الإنسان
المؤمن الذي أعطاه الله السيدة في الكون . حياة لا تنتهى
فليس فيها موت .

وعمر الإنسان لا ينتهى بل موت بعد الحياة الدنيا . . ولكن
له حياة أخرى هي المقصودة . ولكن من يصل إلى هذه الحياة

وإلى هذا النعيم ؟ إنه من يؤدي مهمته في الدنيا التي خلقه الله من أجلها . وهي طاعة الله في إفعـل ولا تفعل . . تلك الطاعة هي التي تقود الإنسان إلى الخلود في السعيم .

لقد خلق الله هذا الكون ليطاع فيه . . ويسبح الكون كله بحمده . فإذا انضمت إلى أجاس الكون وكنت عابدا لله إنسجمت مع هذه الأجناس في الحياة الدنيا ثم أعطاك الله سبحانه الخلود في الآخرة .

ولكن إذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلقنا لعبده . . فهل معنى ذلك أن الله - سبحانه - في حاجة إلى هذه العبادة ؟! ونقول . إن الله مستغن بداته عن جميع خلقه . لا تصره معصية ، كما لا تنفعه طاعة . لقد خلقنا مختارين . فمن شاء فليؤمن . ومن شاء فليكفر . ليأتيه من شاء عن حب لا عن قهر يقول الحق جل جلاله

﴿ إِن نَّشَاء نُنْزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝۱ ﴾

(سورة الشعراء)

قوانين الله .. وعقل الإنسان

ماذا فعل الإنسان بعد أن جعله الله سيد هذا الكون وأحصع كل أحسن لكون له ؟ هل أخذ الحياة الدنيى بمفهومها الصحيح وانطلق يطبق مذهب الله ؟ لا . ترك مذهب الله وأخذ يشرع لنفسه . فملا الشقاء الكون من القوانين الشرية التى اتخذها الناس منهم حياتهم بدلا من مذهب الله . وثقى الإنسان لأنه ترك المذهب واتبع عقله .

وهناك فرق بين أن يضع لك مذهب حياتك عليم حكيم مطلع على كل شئ . وبين أن يصعه لك إنسان محدود القدرة والفهم والعمر يعرف أشياء وتعب عنه أشياء

إننا نرى أن القوانين الإلهية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، لأن الذى وضعها يعلم ما سيحدث فى الكون كله حتى قيام الساعة ، فلا يفاجئه حدث ، ولا يواحه شئ لم يكن فى الحسبان ، لأن الله سبحانه عليم محيط بكل شئ .

ولكن القوانين الشرية - لقصورها - براه وقد امتلأت بالتعديلات والتعيرات ، لا ترقى سواها قليلة حتى يفاجئنا الأمور التى وصح القانون ليعاها لم تحط بها ، وأن شيا حديدة ظهرت م يكن توقعها ، فنحدث المعاناة ونقوم بتعديل القانون ولكن الذى يعدلونه هم بشر أيضا ولذلك هم

يعرفون أشياء وتغيب عنهم أشياء ، فبحسب القانون إلى تعديل
بعد سنوات قليلة . وهكذا تظل البشرية تعاني من تعديل
القوانين حتى يأتي أمر الله . .

إن الشقاء في الكون ناتج عن أننا لم نقوم بالمهمة التي خلقنا
من أجلها وهي عبادة الله واتباع مهيجه الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لأنه نزيل من حكيم
حميد

لقد تركنا المسيح الذي فيه صلاحنا وأخذنا عدل وتفلسف
وبأخذنا العرور الشرى ، وبعقد أننا أقدر من الله سبحانه
ونعالى على إصلاح هذا الكون فأفسدنا كل شيء
وأضعا حياتنا أصعب الهدف منها وهذه هى الجريمة
الكبرى التى تركناها الإنسانية في حق نفسها وحق
خالقها .

لقد انحرفنا عن الهدف الذى خلق هذا كون من
أجله . . وخلقنا من أجله . وأصعبت حياتنا عشا
ومادما قد أصعبا الحياة الأولى ، فقد صاغت الحياة الثانية
والحياة الأولى هى التى تقودنا إلى نعيم الحياة الحقيقية فى الآخرة
إذا نحن أدينا مهمتنا فى الحياة الدنيا كما أمرنا الله ولكن إذا
أصعبا الأولى عشا . وخذنا تفلسف شريب ونحلل الحرام
ونحرم الحلال ونصف الدين يسعون مهيح الله بأنهم
متحلصون متأخرون ، مع أن التحص الحقيقى هو فى الانتعاد
عن مهيح الله إما إن فعلنا ذلك نكون قد أصعب الآخرة
أيضا

الحياة من ذكر وأنثى

الله سبحانه وتعالى حين خلق هذه الحياة وضعها قواسمها ومن هذه لقوبس أن الحياة لا تنشأ إلا من ذكر وأنثى . وأن كل مخلوق منها خلق حلقا مستقلا عن الآخر . الإنسان لسات الحيون وكل أحسن الأرض مخلوقة من ذكر وأنثى . والذكورة والأنوثة - في تلك المخلوقات - تكون مستقمة في محوقين وليس هناك شيء يشأ عن شيء آخر كما تقول نظرية داروين . . واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(سورة الماريات)

لكن هناك زوجية كانت موجودة ولكن لم تكن يعرفها وعرفناها أخيرا عرفنا في الكهرباء أنه لابد من وجود سائب وموجب حتى تطلق لشرارة . ولو كان القطبان سالبين أو موجبين لا تتواجد الكهرباء أبدا ، كما عرفنا أن السحاب يتكون من ذكر وأنثى . عندما يلتقيان ينزل المطر وعرفنا أيضا أن في الذرة يوجد سائب وموجب . وهناك أشياء لم نعرفها بعد . . ولكننا حينما يكشف الله لنا أسرارها سنعرف أن كل أحسن هذا الكون بلا استثناء من ذكر وأنثى .

لكن . . هناك قصيتان أساسيتان حكم الله سبحانه

وتعالى فيها ، وطلب ما ألا حصصها لعقولنا أو نمكر
فيهم لأن العقل لا يمكن أن يصل فيهما إلى علم القصية
الأولى هي أنكم لن تعرفوا كيف شأ الكون والقصية
الثانية لن تعرفوا كيف خلقتكم

ويقول لأصحاب البطريات الخاصة بدء الخلق وكيف كان
شكل الكون قبل بدء الحياة . مم استقيتم هذه البطريات
ومع أخذتم هذه المعلومات ؟! أشهدتم خلقهم أم جاءكم
من العلم ما لم يطلع عليه لأحرون ؟! يا الذين يقولون إن
الإنسان أصله قرد محطون وكل من يتعرض لخلق
وأصل الكون محطىء مهما جمع من أدلة زائفة لا تتعدى الحدس
والتحمين .

ويوحى ما فصلنا فنقول : إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا
الكون ليكون ساجداً مسبحاً له سبحانه وأن يكون كله
طائع لله عن قهر ولكن الله سارك ويعالى يريد أن يُعبد عن
محبية .

وإن الله سبحانه وتعالى قد وضع منهاجاً جاءته به
الرسول يشمل كل حركة في الحياة ، وأن العبادة ليست هي
الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط ولكن كل حركة من
حركات الحياة هي عبادة وهي مهج .

والله يطلب ما التحرك في الحياة وعسارة الأرض . ولكي
نقيم عبادة الصلاة مثلاً لابد من حركة حياة واسعة . . تشمل

حوائط كثيرة من الحياة . فإن الله سارك وتعالى لا يريد أن
نقول سبحانه أنه طوال الليل والنهار . ولكن يريد أن يعمل
وتحرك وأن ما يتم بدونه الواحد فهو واحد

ولقد أفسد الإنسان في الأرض باحتيائه فترك قوانين
الله وأخذ يضع القوانين لنفسه وأحدث الشرية لشقاء
من قوانين الشر واستعد عن المنهج ليضع منها ما يعقله
وأخذ يجادل في الخلق وفي قضايه لا يسوعها عقبه . لأن مهم
جادل في شأه الكور وحلق لإنسان فلن نص إلى
حقيقة .

هذا عن حياة الدين المحدودة بأعمار القصيرة ، أما الحياة
الأخرى الحياة الحقيقية التي لن يعقبها موت أو فناء .
حياة الخلود . فهي موضوع الفصل التالي



الفصل السادس



للحياة الآخرة

فل أن مهي الحديث عن الحياة
والموت . لابد أن سحدث بالتفصيل عن
الحياة الآخرة . . تلك هي الحياة الحقيقية
للإنسان . . فالحياة الدنيا هي دار
احتبار . . لا يلبث الإنسان أن يغادرها مهما
عمر فيها . . ثم تأتي بعدها حياة خالدة
للإنسان .

الحياة الدنيا يسبقها موت ويعقبها موت والحياة الآخرة
يسبقها موت ويعقبها خلود . الحياة الدنيا عالم أعيار لا يثبت
الإنسان فيها على حال . القوى فيها يصح صعيها
والعنى فيها يصبح فقيرا . وصاحب الحياه والسلطان يصبح
لا حول ولا قوة له .

أما الحياة الآخرة فلها صفة الثبات فى كل شيء . وفى
نعيمها ، وفى عذابها ، وفى متعتها وفى كل ما تعطى
والإنسان قبل أن يأتى إلى الحياة الدنيا كان فى فترة موت فى عالم
الدر . . ولكى نأتى إلى الحياة الآخرة لابد أن يسبق ذلك فترة
موت فى عالم البرزخ . . والبرزخ هو الحاجز بين الموت
والبعث . . بين الدنيا والآخرة . . فلا عودة بعده إلى
الدنيا . .

ويجب أن نعلم أن الإنسان سواء - فى عالم الدر أو فى الحياة
الدنيا أو فى عالم الموت أو فى الآخرة - مسجل فى سجلات دقيقة
عد الله سبحانه وتعالى . وأن أى مرحلة من هذه المراحل لا تمر

هكذا أو تمضي بغير نظام أو ترتب دقيق . الله سبحانه وتعالى
عنده سجل عاين في الدقة لكل ما خلق . فلا تمضي عليه
حافية في هذا الكون ، أو يغرب عنه مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء ، كل ذلك في كتاب واضح هو أم الكتاب
اللوح المحفوظ . واقرأ قوله سبحانه

﴿ إِنَّا نَحْنُ الْمُحِيطُونَ وَتَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكَانَ

شَيْءٌ مَحْصُومًا فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ۝۱۲ ﴾

(سورة يس)

إن هناك سجلاً محفوظاً عند الله لكل واحد ما . يشمل
كل أحداث حياته ويكون شاهداً عليه يوم القيامة . شهدا
عليه كيف ؟ شاهداً عليه (بالصوت والصورة) يرى
أحداث حياته كلها بالصوت والصورة كما وقعت له ،
ويشاهدها بكل دقة ، بحيث لا يستطيع أن يكر شيئاً من
حدث . . ليحعل الله سبحانه وتعالى الإنسان شهيداً على نفسه
يوم القيامة . واقرأ قوله جل جلاله .

﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلِيًّا حَسِيبًا ۝۱۸ ﴾

(سورة الاسراء)

هذا السجل وهذه الحياة المسجلة لحياة كل إنسان تبلغ من
الدقة كأننا نشاهد حياتنا الدنيوية . وتعجب من دقة
التسجيل . ذلك أن هناك أشياء وتفاصيل نسيناها نحن
نحدها مسجلة في هذا الكتاب . . الله سبحانه وتعالى يقول

عن دقة التسجيل :

﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُسُوهُ﴾

(من الآية ٦ سورة المجادلة)

إن من دقة التسجيل أيضا نحس بعظمة الحساب ، وبأن الله سبحانه وتعالى لا يفوته شيء . ولذلك لا بد أن نلتفت إلى قول الله سبحانه .

﴿وَيَقُولُوا يَوْمَئِذٍ مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا تُحْصَاهَا وَفَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا
يُظِلُّ رَبُّكَ بِحَدِّهَا﴾

(من الآية ٤٩ سورة الكهف)

إن التفاتنا إلى هذه الآية الكريمة يجعلنا نخجل من ارتكاب المعصية ونحن نعلم أنها سجل علينا وأنها ستعرض يوم المشهد العظيم أمام الله سبحانه وتعالى وتشهد الخلائق كلها وعى مرأى ومسمع منها ..

العقل .. لا والقدرة .. نعم

وقد يتوقف من لا يؤمن بالغيب قائلا أمعقول هذا ؟
أمعقول أن يؤق بكل ما من بين ملايين الشر التي عاشت
وستعيش على الأرض منذ بداية الخلق حتى قيام الساعة ؟
أمعقول أن يؤق بكل ما هو بذاته .. مع أن الأرض تأكل
الأجساد . وتمحوها ولا يبقي من الإنسان شيء ؟

نقول إنما حين نتحدث عن قدرة الله لا نحكم العقل أبدا
لأن الله سبحانه وتعالى فوق قدرات العقول . وليس كمثله
شيء . وكل صفاته وقدراته هي أيضا فوق قدرات العقول .
ولكن كل إنسان ما مخلوق بميران دقيق جدا لا يحتل أبدا
ولا يضيع .

الله سبحانه وتعالى - رحمة بعقولنا - أودع في هذا الكون من
الأسرار التي كشفها لنا ما يقرب من عقولنا قصايا الغيب
الهائلة .. حتى لا نضل وبشقى .

الإنسان في أصله نطفة ، والبشرية كلها كانت في طهر
آدم .. ذلك أن هذه النطفة في عاية الدقة . حتى أنها لا ترى
بالعين المجردة . ويكفى لتعرف مدى دقة الخلق . أن
تصور أن البشرية كلها - منذ خلق آدم إلى يوم القيامة - كانت
موجودة في ظهره هذه هي البداية وكل نطفة تمثل حياة

الإنسان مكتوب عليها بشفرة غاية في الدقة كل حياته . عمره وطوله وكل الأحداث التي تقع عليه . ذكر أم أنثى . شقى أو سعيد إلى غير ذلك

ولو أننا عرفنا مفتاح هذه الشفرة ثم أخذناها ووضعناها في كمبيوتر يحل ألغازها ، لوحدنا أمما في دقائق شكل إنسان وجسده وقصة حياته كاملة . . وإذا كانت هذه الحقيقة العلمية قد بدأت تظهر لنا الآن . . فإنها موحودة منذ خلق آدم . . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يكشف بعض أسرارها إلا في هذا الزمن .

هذه النقطه المختارة بدقه متناهيه . . هي التي تنطلق ويدخل الرحم وتخصب البويضة فيحدث الحمل . وتطل الشفرة تعطي ما سُحِّلَ عليها حتى يأن الأهل فتتوقف





السجل لا يضيع

هذا هو السجل الذي لا ينمحي ولا يصيب أبدا ولا تظمس معالمه ، وعندما يبعث الله الناس يوم القيامة . يقول الله لهذه النطفة « كن » . فتفك الشفرة وتحقق ما هو مكتوب عليها . . . ليأتى الإنسان هو هو نفسه . .

إن الله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أن البعث إعادة للخلق وليس خلقا جديدا فيقول جل جلاله

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أََوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدَّ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الأنبياء)

ويقول سبحانه

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغَضُونَ
إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ فَرُّعَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾

(من الآية ٥١ سورة الإسراء)

يقول الله سبحانه وتعالى لهذه النطفة المرحودة في الأرض أن
تعود خلقا كما كانت فتعود . والفرق الوحيد هو الزمن
ذلك لأنه في الآخرة لا زمن إن ما حدث في الحياة الدنيا في

ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة أو أكثر أو أقل . سيتم في لحظة هذا هو الاختلاف لوحيد أما ما عدا ذلك فإن لعث هو عادة خلق كان موحودا . ورعم مشابه الإنسانية من حيث الشكل والتركيب والخصائص ، فإنك لن تجد متشابهين ولن يتطابق اثنين في كل شيء منذ دم وحتى تقوم الساعة . . رعم أما نكاد أن يكون نسخاً مكررة .

والله سبحانه وتعالى رحمه بعقولنا أعطانا الدليل على ذلك في أشياء كثيرة مثلاً بصمة الأصبع رعم أن أيدينا جميعاً متشابهة فإن بصمة كل واحد من تختلف عن بصمة الآخر ، بل إن هذا الاختلاف يظهر بين أصبع اليد الواحدة ! واعتقد أن هذه حقيقة لا يختلف فيها أحد . وعلم ديبوى تظهر عجائبه مع مرور الزمن وللقراء في كل زمن عطاء . ولم يحدث هذا مصادفه لأن الله تبارك وتعالى أنفأ إليه في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ تَنْشُرَ أَنْ تَجْمَعَ عِطْمَهُ ۖ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۚ ﴾

(سورة لقمان)

أى أن قدرة الله تبارك وتعالى لا تقف عند إعادة العظام التي تبل وتصير تراباً بل تتعالى قدرته سبحانه إلى إعادة الأنامل وتسوية البصمات التي تميز الإنسان عن الآخر منذ عهد آدم إلى يوم القيامة .

ولقد أثبت العلم الحديث - الذى يكشفه الله لنا - أنه كما
للأصابع بصمة ، فلحسد بصمة أيضا . بصمة « رائحة »
تميزه عن سائر حسنه ، يستند عليها الكلب اسوليسى الذى
يمتاز بحاسه الشم الدقيقة . وللإنسان أيضا بصمة صوت
وبصمة أسنان وغير ذلك . بل إن كل حسد له شفرة
خاصة تعرفها كل أعضاء الحسد . بحيث لا يخلط حسد
مع حسد آخر أبدا .

إننا نلاحظ ذلك فى عميات ررع الأعصاء ودرع الحلد
الحسد يعرف أعضاءه ويعرف حلدَه . فإذا أصيب الإنسان
بحرح . نجد أن الحلد يلتحم مع عصه العصر ويسح
السيح الذى يقصى على هذا الحرح ويعيد الالتئام . كذلك
إذا أصيب أى عضو من أعضاء الجسم بميكروب يتحد الجسم
كله ويحارب هذا الميكروب ليقصي عليه . فإذا حثا بعضو أو
حلد من شخص آخر . فماذا يرى ؟! نجد أن الجسد يعرفه
ويعرف أن هذا العضو ليس منه . غريب عنه ويحاربه
ويطرده حتى ولو كان هذا العضو أو الحلد من أحبه . أو من أو
منة . أى من أصل واحد . وهذا يدلنا على أن لكل حسد
شفرة مختلفة عن الآخر .

ولعل أطباء حراحة ررع الأعصاء هم أكثر الدس عليها بهذه
الحقيقة . وهم يشاهدون كل يوم حسد أم يرفض كلية
بنتها . وأب لا يقبل حسده وراعة حلد اسه . إذن ليست
المسألة هى درجة القرابة أو الأصل . ولكن كل حسد له
شفرة لا تتفق مع حسد آخر . صعب الله الذى أنقى كل
شئ .



البحث .. بالدليل المادي

أمام هذه الأدلة كلها التي تقرب إلى العقر أن كل إنسان صورة غير مكررة من الآخر وأنه يمتاز بأشياء تخصه وحده . وأن هذه الأشياء مكتوبة بشفرة خاصة على لطفة التي هي البداية في أن يأتي للإنسان من عالم البدر و الموت إلى الحياة تدبيلها ليمارس مهمته بحسب ثاماً أن أعاده الخلق أسهل من بدايته وإن كان لا يوجد سهل ولا صعب على المولى حين خلقه . لأنه يقول لشيء كن فيكون ولكم بقول ذلك باعتبار أن إعادة الموجود أيسر - بالنسبة له - من إنجده أولاً . فالله سبحانه وتعالى يقول في لقرآن الكريم ليقرّب المعنى إلى أدهاسنا نحن .

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْحَيَاةَ ثُمَّ يُعِيدُهَا وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾

(من الآية ٢٧ سورة الروم)

إن الانتقال من مرحلة إلى مرحلة في رحلتنا إلى الحياة الأبدية لا يتم إلا بقدرة الله سبحانه وتعالى وحدها . وحين نخرج من قبورنا فليست هذه هي الحياة الآخرة . أنها خروج إلى يوم الحساب . يوم يبعث الناس جميعاً . من قبورهم التي دفنوا فيها . ويخرجون كما قلنا بكلمة « كر » للنطفة فكما كانت النطفة في عالم الدر تحيط به مظاهر الموت . حتى أدرك الله لها بالمجيء « بكر » بدأت الحياة فيها لتتجدد ما هو

مكتوب عليها . من حمل إلى ميلاد إلى طفولة إلى بلوغ
 للعمر المقدر إلى موت . . فكذلك ساعة اسعث عندما يقل
 للطفة « كن » . يبدأ الناس يحرقون من قورهم لكن
 كيف سيحرقون ؟

هل سيطر الإنسان يحاول لخروج . ويدفع التراب بذي
 فوقه ليحرق ؟ أذا . إن الأرض ستشق له بأمر الله
 واقرأ قوله سبحانه :

﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾

(سورة ق)

ولماذا أسماه الله سبحانه وتعالى حشرا ؟ لأن كل من دفن في
 الأرض سيحرق بها ، رغم أنهم لم يدفوا مرة واحدة . بل
 دفوا عر قرون كثيرة وتناثرت أجزاءهم في أماكن متسعة بعد
 أن تحولت إلى تراب . ولكمهم سيحرقون مرة واحدة .
 فتصيق هم الأرض . سمى الله سبحانه وتعالى يوم الحشر .
 لأن الزحام سيكون شديدا .

ولك أن تتصور أرضا كمصر مثلا . . استقبلت أمواتا عر
 قرون كثيرة . ثم إذا هؤلاء جميعا يخرجون مرة واحدة
 زحام شديد ويوم رهيب .

ولقد سألتني واحد وأن في أمريكا . أين تذهب الروح بعد
 الموت ؟ فقلت له حيث كانت قبل أن تأتي إلى الحياة . وسألتني

آخر كيف يتم تسجيل كل أحداث الكون ؟ قلت أنها ليست مسجلة فقط . بل مكتوبة عند الله سبحانه وتعالى قبل أن تقع . . وهذا دليل على القدرة الإلهية وعلى إحاطة علم الله بكل عمل وكل حدث يتم وفق تسجيل الله له . وقرأ قوله تعالى

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ ﴾

(سورة الحديد)

ويبلغ من دقة التسجيل أن عير القنبل تسجل في حذقتها صورة القتلى . ولو أننا استطعنا أن نصل إلى حذقة المقتول لرأينا صورة القتلى كمن شيء مسجل وعليه دليل . . والله سبحانه وتعالى قل أن يخلق حياة خلق لموت . . وعندما يولد الإنسان ينطلق ملك الموت يبحث عنه . . وعمر الإنسان بقدر يبحث ملك الموت عنه . فعندم يلتقينا يكون الأجل .



الجنة ..

لحق سبحانه وتعالى جعل في الحياة الآخرة أشياء كثيرة .. وإن كانت غيبا عما وإذا كانت الجنة فيها ما لا غير رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فإنه من الصعب أن نأتى بالألفاظ التى تصف لنا الحياة فى الجنة .. ذلك أن الصورة يجب أن تكون موحودة أولا فى العقل . ثم بعد ذلك يختار لها اللفظ المناسب لها الدال عليها .. فقبل أن يخترع التليفزيون مثلا . لم يكن لفظ التليفزيون موحودا فى أى لغة من لغات العالم . فلما وحد التليفزيون وأصبح حقيقة .. اجتمعت المجامع اللغوية الموجودة وإحتارت له اللفظ المناسب .

إن الله تبارك وتعالى حين يعطينا وصفا عن الحياة فى الجنة يقول : « مَثَلُ الْحَيَاةِ » .. أى أنها ليست هى . ولكنه (مثل) يقربها إلى الذهن بشئ معروف .. وأنت حين تريد أن تعلم الذهن شيئا مجهولا ، فإنك تشبهه بشئ معلوم لكى يفهم السامع . كأن تحاول أن تعرف أى إنسان عن كروية الأرض . فتأتى له بخريطة الأرض مرسومة على كرة .. وتقول له أن الأرض مثل هذه الكرة ..

وحين يدخل أصحاب الجنة - الجنة - يستشابه عليهم الأشياء .. فيحيل إليهم أنها تشبه الذى رزقنا من قبل فى الحياة الدنيا . ولكنه فى الحقيقة غيره .. لذلك يأمرهم الله

سبحانه وتعالى أن يأكلوه . فيحدوه غير الذى عرفوه فى الدنيا
تماما . ولذلك فإن كل الوصف الذى يعطيه الله سبحانه
وتعالى للحياة فى الجنة هو محاولة لتقريب المعنى إلى العقل
الإنسان لينخيل الصورة التى ستكون عليها . . . ويكفى أنك
تعرف أنه بمجرد ورود الشيء على خاطرك تحبه أمامك . .
وهذا ما لا يمكن لأحد أن يحققه فى الدنيا .

وكت مرة فى زيارة للولايات المتحدة الأمريكية . .
وأخذوني إلى فندق ينزل فيه الملوك . . وأرادوا أن يهروى
بالتقدم العلمى كل شيء معد فى الحجرة . . تضغط على زر
يأتيك فنحان القهوة . . وعلى زر آخر يأتيك فجان الشاي أو
الطعام أو غير ذلك . . وسألوني ما رأيك ؟ قلت إذا كانت هذه
الفخامة كلها هى ما أعدده البشر للبشر . . فكيف بما أعدده رب
البشر للبشر .

أن الشيء فى الجنة يخطر على بال الإنسان فيحده أمامه . .
وكل ما يتمناه البشر موجود . . والله عنده أكثر من كل
ما تستطيع العقول أن تتخفى . ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ هُمْ نَائِمُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

(سورة ق)

أى أن الله سبحانه وتعالى . . يعطى الإنسان فى الجنة كل
ما يشتهي ، وما يمكن أن يدركه عقله . . ثم يكون هناك أكثر
وأكثر . . ويكفى سعادة وممتعة أن نرى الله يوم القيامة . .

فتلك هي النعمة الكبرى .. التي يحصل عليها أى إنسان في هذا الكون .. وعندما يرى الإنسان الله .. فإنه لا يريد نعيمها ولا يشتهي شيئا أكثر من أنس النظر إلى الله سبحانه وتعالى .. ولذلك يقول الحق جل جلاله في القرآن الكريم :

﴿وَجُوهٌ يُّوْمِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٣﴾﴾

(سورة القيامة)

وأكبر ما يمكن أن يقع على الإنسان يوم القيامة من عقاب هو انه لا يرى الله ولا ينظر الله إليه ولا يكلمه .. تلك عقوبة كبرى لا يعرفها إلا أولئك الذين في الدرك الأسفل من النار .. لذلك يقول الحق تبارك وتعالى عن أهل النار :

﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ﴾

(من الآية ٧٧ سورة آل عمران)

ويقول جل جلاله :

﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَذِئَحْجُورُونَ ۚ﴾

(من الآية ١٥ سورة المطففين)

إننا لابد أن نفهم أن الحياة في الجنة أو في النار .. سيتغير فيها تكوين الجسد .. بحيث يستقل من الفناء إلى الأبدية .. وبحيث يلائم الجسد ظروف الحياة التي يعيشها .. فأهل الجنة يتغير تكوين أجسادهم لتلائم الحياة في الجنة .. فيرون الله

ويحدثهم ويسمعونه . . وأهل النار - والعياذ بالله - كلما احترقت جلودهم . . تبدلت لتعود إليها الحياة . . حتى يحسوا بالعذاب والألم لأن أعصاب الحس موجودة تحت الجلد مباشرة . . كما كشف العلم أخيرا . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا
نُصِيتُ جُلُودَهُمْ يَذَّكَّرُ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

(سورة النساء)

وهكذا نرى أننا سنكون في خلق جديد . . ليعطينا الله تبارك وتعالى ثمرات ما عملناه في الدنيا . . وليعطينا الحياة الأبدية التي تليق بذلك الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى . . وخلق كل هذا الكون من أجله . . تلك هي الحياة التي يريدنا لها الله . . أما أهل النار - والعياذ بالله - فإنهم تمتعوا في الحياة الدنيا قليلا . . وأخذوا في الحياة الآخرة خلود العذاب . . لقد خسروا أنفسهم بعصيانهم الله سبحانه وتعالى . . خسروا حياتهم الحقيقية التي أعدها الله جل جلاله لهم .

إلى هنا ونصل إلى خاتمة هذا الحديث . . لعل الله سبحانه وتعالى أن يكون قد وفقني لما يحبه ويرضاه . . وأسأله سبحانه أن يكون هذا الكتاب هدى لكل من يقرؤه . . وطريقا إلى الحياة الحقيقية في الجنة . . إنه سميع بحبيب الدعاء .

الفهرست

الفصل الأول

صفحة	
٣	● ما هي البداية
٦	● جدل عقيم .. وسفسطة
٩	● في عالم الذر .. كانت المشاهدة
١٠	● صور الخلق
١٣	● الموت والحياة .. قوانين
١٥	● ماهي قوانين النوم
١٧	● بدايات الحياة
٢٠	● عطاء الحياة في الروح
٢١	● الوجود .. وإدراك الوجود

الفصل الثاني

٢٥	● ماهي الحياة
٣١	● الجماد يبكي .. ويسمع ويتكلم
٣٤	● والنبات أيضا
٣٦	● النملة تتكلم .. والهدد يعلم
٣٨	● حياة .. لكن لا نعرفها
٤٠	● علم الله وعلم البشر
٤٤	● كل ما في الكون حي

الفصل الثالث

٤٥	● ما هو الموت
٤٩	● الحياة في القبر
٥٤	● حياة البزخ خارج الزمن
٥٨	● وحده يحيي ويميت
٦٠	● النعروء .. وإدعاء الموت والحياة

الفصل الرابع

٦٥	● الإنسان والخلود
٧٠	● سر الحياة .. ونهايتها

- دورتنا الخلق : موت وحياة ٧٣
- أسماء الذات .. وثبوت الصفات ٧٦
- كنا .. قبل أن نكون ٧٧
- المنتحر والخلود في النار ٧٩

الفصل الخامس

- الحياة الدنيا ٨٣
- العبودية الحقة .. وكيف تكون ٨٧
- من يعد لنا الطعام ٨٩
- المنهج قبل الخلق ٩١
- مهمة الإنسان في الحياة ٩٢
- قوانين الله .. وعقل الإنسان ٩٦
- الحياة من ذكر وأنثى ٩٨

الفصل السادس

- الحياة الآخرة ١٠١
- العقل لا والقدرة نعم ١٠٥
- السجل لا يضيع ١٠٧
- البعث بالدليل المادي ١١٠
- الجنة ١١٣

رقم الإبداع : ٩١ / ٥٣٥٤

I.S.E.N

977 - 06 - 0137 - 2